# ثم يجعلهم التعليم أغبياء

إيهاب العرشي

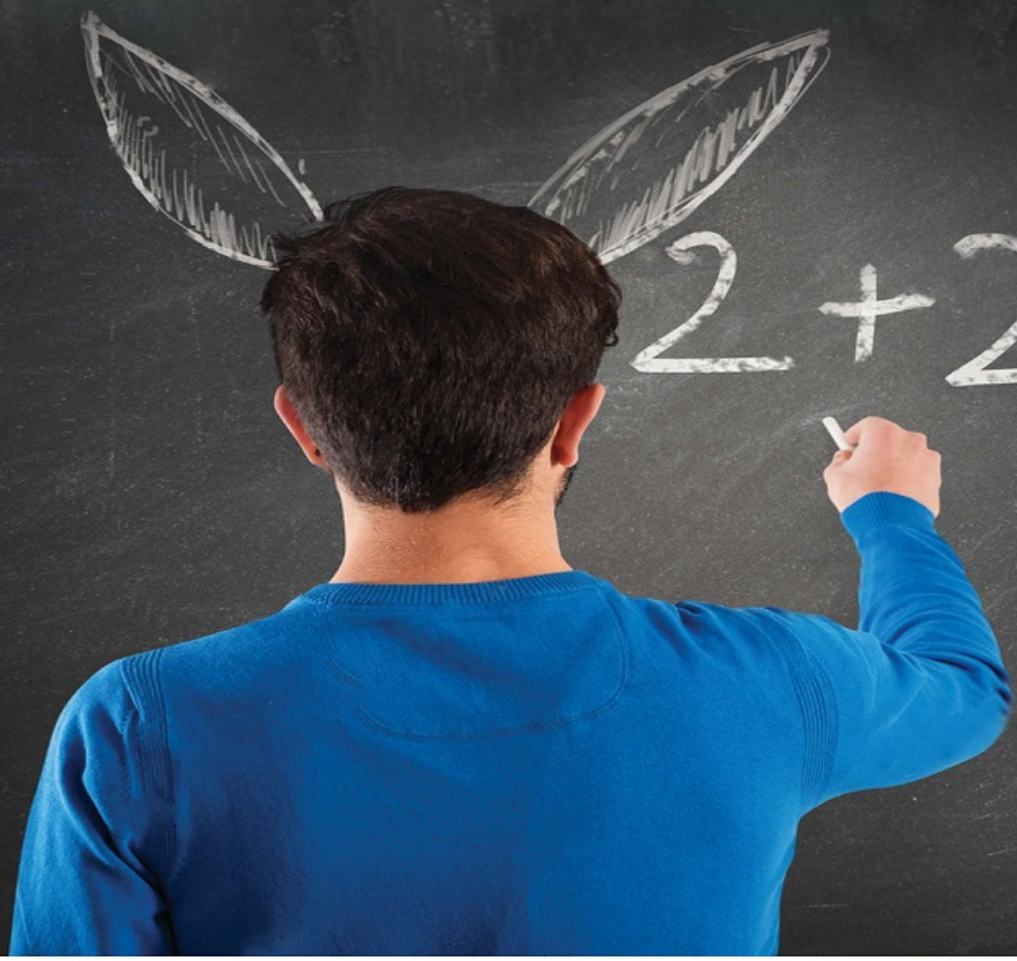


مدارك

ثم يجعلهم التعليم أغبياء

الكتاب: ثم يجعلهم التعليم أغبياء

المؤلف: إيهاب العرشي

التصنيف: تطوير ذات

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: مارس (آذار) 2020 م

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 614 - 429 - 776 - 6

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من **مدارك**.

Madarek

Madarek Publishing House

مدارك

دار مدارك للنشر

8470 **طريق عثمان بن عفان، حي التعاون، الرياض، المملكة العربية السعودية**

8470 Othman Bin Affan St, Al Taawun Dist, Riyadh, Saudi Arabia

Zip Code: 3844 - 12478 Riyadh, Saudi Arabia Tel: +966 114541148

mdrek.com | read@mdrek.com | DarMadarek

إيهاب العرشي

ثم يجعلهم التعليم أغبياء

الفهرس

المقدمة 7

الحرية أولاً 9

هل يقتل التعليم الذكاء ويجعلنا أغبياء؟ 12

التعليم النافع والتعليم الضار 22

لماذا يهربون من المدارس؟ 29

التعليم والعبقرية 34

التعليم والفن 40

التعليم والتجربة 48

التعليم الذاتي والتعليم الأكاديمي 54

التعليم والذاكرة 62

مشكلات أخرى في التعليم 65

العلم والأخلاق 73

العلم والاستكشاف 82

العلم والميتافيزيقيا 85

هل لدينا إرادة حرة؟ 88

الروح وغريزة التطور 94

الأحلام والواقع 99

العقل والجنون 103
فهرس الأفكار والمقولات العامة 109

المقدمة

كتب الشاعر والقاص والروائي الإنكليزي روديارد كبلنغ، الذي ولد في الهند (١٨٦٥ - ١٩٣٦) تحت عنوان (إذا): «اقرأ، وتأمل، وتفلسف، وطبق على درجات، ولا تقفز كي لا تتكسر، وتحملني المسؤولية!

إذا استطعت أن تحتفظ برأسك عندما يفقد كل من حواليك رؤوسهم
وينحون عليك باللائمة
إذا وثقت بنفسك عندما يفقد كل إنسان ثقته فيك وتترك مع ذلك مجالاً
للشك.

إذا استطعت أن تنتظر دون أن تملّ الانتظار
أو أن يعاملك الآخرون بالكذب من دون أن تلجأ إليه
أو تكون موضع كراهية ولكنك لا تدع مجالاً للتسرب إلى نفسك ولا تبدو
أفضل مما ينبغي ولا تتكلم بحكمة أكثر مما يجب.

إذا استطعت أن تحلم ولا تدع للأحلام سيادة عليك.

إذا استطعت أن تفكر ولا تجعل الأفكار غايتك القصوى.

إذا استطعت أن تجابه الفوز والفشل وتعامل هذين المخاتلين على حدّ سواء.

إذا استطعت أن تكدّس كل ما تملك من أرباح
وتغامر بها دفعة واحدة وتخسرها جميعا ثم تبدأ من جديد
من دون أن تنطق بكلمة واحدة عن خسارتك.

إذا استطعت أن تخاطب الجماهير دون أن تتخلى عن فضائلك وأن تسير في
ركاب الملوك من دون أن تفقد مزاياك المعتادة.

إذا عجز الأعداء والأصدقاء والمحبون عن إثارة حفيظتك بإيذائهم إيّاك. إذا
كان الناس كلهم عندك سواسية من دون أن يكون لأيّ منهم أهمية خاصة.

إذا استطعت أن تملأ الدقيقة الغاضبة التي لا تغفر لأحد بما يعادل ستين ثانية من السعي ركضاً فلك الأرض وما عليها وأنت فوق ذلك كله ستكون رجلاً يا ابني».

الحرية أولاً

خلق الله الإنسان حرّاً، لديه إرادة حرة، ومشيئة حرة، واختيار حرّ.

والإنسان هو الذي استعبد نفسه بنفسه، والقوي هو الذي فرض إرادته، واستعبد غيره، وفرض عليه القيود، السلاسل، والأغلال، بهدف حمايته وهو يسرقه، ورسم له إطاراً عامّاً يسير عليه وممنوعٌ عليه الخروج منه، وحدّد له كل شيء..

أيُّ تفكيرٍ غير ذلك مستحيل، ممنوعٌ أن تفكر.

أنت مسيّرٌ مجبورٌ لا مُخيَّر، ونحن من سيرناك.

أنت عبدٌ، ونحن استعبدناك..

ممنوع التفكير!

ممنوعٌ أن تستعمل عقلك، نحن فكّرنا عِوضاً عنك.

أنت فقط نفِّذْ، ولا تفكِّر إلا بما جاء به السابقون الأوائل الأخيار..

فكلّ شيءٍ مرسومٌ لك ومحدد، ومن يحاول الخروج عن إطار المرسوم ويحاول كسر القيود يتعذب ويكتوي، ويصارع الناس والمجتمع، وتفرض عليه إرادة الحياة القاسية، ويعيش في وادٍ والعالم المستعبد في وادٍ آخر.

منذ أن يولد الإنسان طفلاً وهو مكبلٌ بالقيود والسلاسل البشرية والأغلال..

يصرخ، يبكي، ويتألّم، يريد أن يكون حرّاً -كما خلقه الله- دون قيودٍ وهميّة، ودون سلاسل وأغلال وضعها له الآخرون، ولكن لا جدوى!

***

**« العقل ينتج العلم ، والإحساس ينتج الفن ،**

**وعندما يجتمع العقل مع الإحساس ينتج الفكر »**

المؤلف

هل يقتل التعليم الذكاء ويجعلنا أغبياء؟

جميعنا نولد أطفالاً صغاراً لا نعرف ماهي مواهبنا، ولا ندري ما يميزنا عن غيرنا، ثم نكبر ونكبر حتى نفقد مواهبنا ومميزاتنا مع مرور الزمن ونموت بحسرةِ أنّنا أناسٌ عاديّون، ولم نتعرف على أنفسنا، ولم نكتشف ذواتنا!

كلّ يومٍ في هذا العصر يكتشف العلم شيئاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل، والسبب في هذا الاكتشاف هو الحاجة إليه؛ فاكتشفه الإنسان لإشباع رغباته الكامنة في نفسه، وأصبح يعبر عن شعوره، ويتواصل مع الآخرين، ويشحن هممه ليفرّغ طاقته النفسية، الإيجابية أو السلبية، فلا يمكننا كبت شعور الإنسان، فالإنسان فنانٌ بالفطرةِ ولديه مشاعر وأحاسيس ومواهب لا يمكن كبتها.

ومشكلة بلادنا أنّ إطاراتها ضيّقة، وآفاقها محدودة، ومجالاتها معدودة؛ لذلك نجد الكثيرين أصبحوا إرهابيّين، مجرمين، وعنيفين مع الآخرين، ونجد الكثيرين يعانون من الكبت، ومن القيود، ومن الحرمان، والسبب هو عدم تفريغ رغباتهم الإيجابية لأنّه لا يوجد ملجأ لتفريغها.

فنجده عنيفاً وفوضويّاً وحاقداً على الآخرين ونجاحهم، والسبب هو أن لديه طاقةٌ ولا يعلم أين يمكن تفريغها.

فمنهم من كان يريد أن يصبح لاعب كرة قدم، أو ممثلاً مسرحياً، أو عالم فضاء، أو موسيقاراً، أو حتى مصارعاً نظراً لبنيته الجسدية، ولحبه للقتال، أو سائق دراجات هوائية.. إلخ.

ومواهب الإنسان كثيرةٌ ومتنوعةٌ بعدد خلائق الأنفس، ولا يمكن للعلم حصرها جميعاً، وجميعها أحلامٌ وآمالٌ مشروعةٌ للفرد ولا يمكن تحطيمها وكبتها، ومن ثمَّ لا يجدون ذواتهم، ولا يجدون ضالّتهم، ويبدأ الجميع بوصفهم بالفاشلين. ولو أتيحت لهم الفرصة في مجالاتهم ووجدوا أنفسهم بما يناسب مواهبهم وطاقاتهم الكامنة لكانوا من الناجحين، المتفوقين، وممّن يشارُ إليهم بالبنان.

***

فالظلم والاستبداد والحرمان تكوّن كبتاً في الشعوب.

والكبت والحرمان يكوّنان جماعات متمردة.

والجماعات تمتلك أفراداً مظلومين تؤثر في وعيهم بحجة الدفاع عن مظلوميتهم..

ومن ثم تبدأ الدولة العميقة بالانهيار.. والجماعات تتولى السلطة.

ومن ثم يزداد الظلم في المجتمع بحكم تلك الجماعات ويزداد الفقر والاستبداد.
ومن ثم تنهار الجماعات وتعود الدولة العميقة ..
وتبدأ صالحة في بداياتها تحارب الجماعات التي خدعت الشعب ولكنها في حقيقة الأمر تثأر لنفسها وتنتقم منهم..

ومن ثم يعود الاستبداد والفساد ويقبل به الشعب بداعي الحرب ولكنه سرعان ما يتوغل ويتوحش.. فتتكون جماعات أخرى وتسقط الدولة العميقة.

وهكذا صيرورة الحياة في مجتمعاتنا المتخلفة التي تعيش في حلقة دائمة من الصراع.

حلقة دائمة من الحروب والقهر والاستبداد.

والسبب ببساطة هو غياب العدالة.

والعدالة تقتضي أن يجد كل إنسان مكانته وضالته.

والمجتمع كما وصفه **أفلاطون** مثل الجوقة الموسيقية. فان الخلل يصيب الجوقة جميعها إذا خرج أي إنسان منها في مكانه، والوفاق بين نغماتها يزول إذا قام واحد منها بتبديل ما كلف به من النغم لإيجاد اللحن العام للجوقة جميعاً.

***

ونظام التعليم الدراسي الحالي يشمل ثلاثة أنواع من الذكاء:

النوع الأول: هو الذكي في هذا المجال بالموهبة والشغف والرغبة، وليس بالاجتهاد والتكلّف، وما الاجتهادُ إلا وسيلةٌ لتطويرِ تلك الموهبة التي تتوافق مع شغفه وحبه.

فالطالب الذكيّ دراسياً ليس هو من اكتشف موهبته بمفرده، فلولا نظام التعليم المدرسي لما اكتشفت موهبته، ولربما كان من المحظوظين لأنّ موهبته تتوافق مع العصر، وهي في مجالٍ ظاهرٍ، بارزٍ، وشائعٍ بين الناس.

فالطالب المتفوّق دراسيّاً يكتشف أشياء في المدرسة لا يكتشفها أحد، ولديه اهتمامات لا يعرفها أحد سواه، ويرى أشياءً لا يراها الآخرون، والسبب هو شغفه وحبه للتعليم، وهذا هو مصدر إبداعه في المجال الدراسي.

النوع الثاني: متوسط الذكاء في التعليم الدراسي، ويحتاج إلى شخصٍ آخر يفهمه الأشياء، ولا يستطيع أن يكتشف حيثيات وجزئيات التعليم من تلقاء نفسه كما يعمل الذكيّ، وعندما تعلمه يستطيع الفهم والتعلم، وقد ينقصه فقط الذكاء الرياضي، وهو نوعٌ واحدٌ من أنواع الذكاء، وقد يكون فيه متوسطاً أو منخفضاً.

النوع الثالث: ما يسمى عادة بالغبي دراسياً، وهذا النوع من الصعب جداً أن يفهم مناهج الدراسة، وتجده يكرهها وينفر منها حتى وإن شرح له الآخرون. يجد صعوبة في الفهم والاستيعاب بسبب افتقاره لنوعٍ محدّدٍ من الذكاء: الرياضي أو القياسي.

وقد يمتلك ذكاءً من نوعٍ آخر، مثل الذكاء الموسيقيّ، الاجتماعي، المالي، النفسي، العاطفي، اللغوي، المكاني، الحركي، الأخلاقي، الفراغي، أو الذكاء الوجودي كالذين يتساءلون في الغيبيّات وما وراء الطبيعة، ويحاولون إيجاد الإجابات عن تساؤلاتهم الفلسفية، وهذا هو المقصود بالذكاء الوجودي، ويوجد عند الفلاسفة والعارفين، أمثال ديكارت وسيبنوزا في الغرب، والحلاج والرومي في الشرق. ولا يهتم التعليم بهذا النوع من الذكاء، والذي نحتاجه كثيراً على المستوى النفسي والشخصي، ولا يقل أهميةً عن الذكاء الرياضي أو اللغوي.

والتعليم لا يهتم أيضاً بالذكاء الأخلاقي ولا ينمّي جوانب الأخلاق في الفرد؛ لذلك نجد التعليم لا يؤثر تأثيراً كبيراً في أخلاقنا الموروثة المكتسبة.

وقد يهتم التعليم بالذكاء اللغوي في الأدب، الشعر، البلاغة، والنحو، ويهتم بالذكاء المنطقي إذا ما اعتبرنا الرياضيات برهاناً عليه.

والعدالة تقتضي أن يهتم التعليم بأنواع الذكاء المتعدد.

والذكاء ثمانية أنواع أو أكثر، وكثير من أصحاب المواهب البارزة قد يكونون من النوع الثالث، أي من يوصفون بالأغبياء في المدارس، من الذين يقتلهم التعليم النمطي الذي يركز على نوعٍ واحدٍ من أنواع الذكاء ويهمل الأنواع الأخرى المختلفة، فهم قد لا يعانون من غباءٍ، ولكنهم يتعلّمون بطرقٍ مختلفةٍ عن أقرانهم فقط.

فالتعليم لا يصح أن يكون قالباً واحداً، ولا معياراً واحداً، فلكلٍّ منا طرقٌ مختلفةٌ في استقبال المعلومات.

وفي المستويات الثلاثة ليس للاجتهاد والإرادة دورٌ كبيرٌ في التفوق والنجاح، ولا ننكرها بشكلٍ كاملٍ، وإنّما هي تأتي من خلال حبِّ الشيء والتعلّق فيه.

فعندما نطالب مَن يُسمّى بالطالب «الغبيّ دراسيّاً» أن تكون له إرادةٌ ويجتهد، ونلومه ونعاتبه بأشدِّ أنواع العتاب، وكأن الأمر بيده، مع أن الأمر ليس بيده، فنحن بهذا التصرف نحطّم، ونَظلم، ونقتل أصحاب النوعين الثاني والثالث، ونحمّلهم ما لا طاقة لهم به. بينما نجد الطالب الذكي دراسياً ينسب لنفسه الفضائل بأنّه مجتهدٌ ويلوم الآخرين لضعف اجتهادهم، ولم ندرك أن ذكاء الذكي ليس اجتهاداً منه وإنما شغفه هو مصدر إبداعه وتميّزه، إضافة إلى الإرادة التي تناسب شغفه فقط.

فالتعليم الحالي لا يخدم سوى نوع واحد من أنواع الذكاء، ويقتل الكثيرين، ويعذبهم، ويحمّلهم ما لا طاقة لهم به.

والذكي دراسيّاً سعيدُ الحظ؛ لأنّ الدراسة جاءت على شغفه، وفي زمن يحتاج له.

والسعيد كما يرى **ميكا فيلي**: «هو الذي تأتي موهبته متوافقة مع زمنه، والتعيس هو من تأتي موهبته في زمن لا يحتاجه زمنه أو منفصلة عن إطار زمنه».

ولو تصورنا بأنّ معيار الذكاء في هذا الزمن هو الشِّعر والقدرة على إلقاء الشعر، أو الرسم، أو الفن، أو الفلسفة الميتافيزيقية؛ حينها المتفوق دراسياً -في مادة الرياضيات مثلاً- سيكون في نظر المجتمع شخصاً غبيّاً. وهناك شخصٌ آخر غبيٌّ دراسيّاً لكنه موهوب في الرسم مثلاً؛ سيكون أذكى منه في نظر المجتمع.

ولو طالبنا المتفوق دراسياً -في مادة الرياضيات مثلاً- بأن يجتهد في تعلّم الرسم، أو التحدث عن الكون وما وراء الكون من علوم وعوالم خفية، فهل سيستطيع؟!

بالطبع لن يستطيعَ حتى وإن اجتهد وحاول الرسم؛ سيكون رسمه دون مستوى صاحب الموهبة الفطرية، وإذا لم يستطِع فسوف نصفه بالغبي، الكسول، وغير المجتهد، لأنه لا يجتهد في تعلُّم الرسم، وسوف يبدأ حينها بالتحطّم ويظنُّ نفسه غبيّاً فعلاً. وهذا ما يحدث بالضبط في المدارس، حينما نجعل معيار الذكاء هو التفوق في مادة الرياضيات أو في أي معيارٍ أحادي آخر.

وتصبح المعادلة كما نسعمها كثيراً في مدارسنا كالآتي:

«أنت ذكيٌّ في الرياضيات إذن أنت ذكيٌّ في كلِّ شيء، أنت غبيٌّ في الرياضيات إذن أنت غبيٌّ في كلِّ شيءٍ ولا تصلح لشيء».

ويكبر الطفل المسكين والمغلوب على أمره وقد اقتنع تماماً بأنه لا يصلح لشيء، وفي عقله الباطن لا تزال الآمال العليا والأحلام الأخرى المختلفة موجودة، يراها دائماً ولا تفارق مخيّلَتَه، ولا يفصح عنها خوفاً من السخرية والاستخفاف، وتتحوّل مع الزمن إلى أحلامِ يقظةٍ ورغباتٍ مكبوتةٍ، وطاقاتٍ مُهدَرَة، ومن ثَمَّ إلى صمتٍ، وشرودٍ، وتأمّلٍ، ويأسٍ، وعدم رغبةٍ في الحديث والإفصاح عنها، ومن ثَمَّ تتحولُ تلك الأحلام الجميلة إلى كوابيس عندما لا يستطيع تحقيقها؛ فالأحلام تتحولُ إلى كوابيس مع الزمن إذا لم يستطع المرء تحقيقها، إنها أحلام جميلة كانت في طفولتنا، ثم تحولت إلى أحلام يقظة نراها في مخيلتنا فقط وتؤثِّرُ على واقعنا بشكلٍ سلبيّ، ومن ثم تتحول إلى كوابيس عندما لا نحققها، ولا نجد من يهتمّ بها من أساسه.

***

فكثيرون بعد التخرج من الجامعات يحكون أنهم يستيقظون أثناء نومهم بشكلٍ مفاجئٍ، ويعتقدون أنهم ما زالوا في المدارس والجامعات بعد تخرجهم بسنوات، ويعتقدون أنهم في فترة امتحاناتٍ ومهددون بالسقوط، الفشلِ، والتعثُّر.

والتعليمُ الخاطِئُ قد يكون سبباً رئيسيّاً لهذه الكوابيس التي نعانيها، والذي لا يهتم بالطفل، ولا ينمّي مواهبه ولا يعيرها اهتماماً من أساسه.

التعليم النافع والتعليم الضار

التعليم النافع تنقصه الأفكار، لا التجهيزات والمعدات والتكنلوجيا المستخدمة ولا الآلات الحديثة، كل تلك أمورٌ ثانوية لا نحتاجها حالياً.

ينقص التعليم فقط الفكرة، وما زلنا في زمن الفكرة، ولم نصل إلى زمن الحداثة والتكنولوجيا.

ولا حداثة وتقدُّم دونَ الفكرة، وإذا ضاعت الفكرة بزغ الصنم، بتعبير**مالك بن نبي** المفكر الجزائري، وهذا هو الحاصل اليوم، عصر الأصنام البشرية وضياع الفكرة.

فماذا نتعلّم قبل كل شيء؟! هذا هو الأهم..

ما الذي ينقصنا من علم؟!

ماهي المواد التي يمكننا إضافتها، في التفكير واكتشاف المواهب، وفي التنشئة والأخلاق؟

وكيف يمكن تعليمها للمعلم ذاته والمربي للطفل؟

وماهي الأخلاق التي تناسب المجتمع وطبيعة تكوينه؟

لماذا لا تؤثر المدارس في سلوك الطالب الذي يدرس اثني عشر عاماً وأكثر؟ ويخرج كما ولدته أمه لا يزيد على سلوكه شيئاً ولا يؤمن بأيّ مُثُل عُليا أو أخلاق.

بينما نجد بعض الجماعات الفكريّة الجهاديّة المختلفة تؤثر في الطفل وسلوكه من خلال بعض الكلام وبعض الشعارات والمحاضرات لأسابيع فقط، ويقلّدها، ويؤمن بها، ويقاتل من أجلها دون امتلاكها شيئاً سوى الفكرة؛ دون وسائل تكنولوجيا حديثة! بينما التعليم لا يؤثر في النفوس كثيراً، فلا يزرع أخلاقاً ولا فكرةً، بل يزرع عقولاً جامدةً لا تفكر إلا في إطار مرسومٍ لها ومحدود.

يقول **جوستاف لوبون** عالم الاجتماع والمؤرخ الفرنسي الشهير في كتابه روح السياسة: «إنّ التعليم لا يجعل الإنسان أكثر أخلاقية أو أكثر سعادة، وإذا ما طُبِّقَ بشكلٍ سيئ فإنّهُ يصبح ضارّاً أكثر مما هو نافع».

وهو بالطبع لا يقصد بذلك التعميم، ولا يمكن لأحد أن يقول إن التعليم الجيد لا يؤدي إلى نتائج مفيدة؛ لكن التعليم الخاطئ بالطبع يؤدي إلى نتائج سيئة، وهو ضارّ أكثر مما هو نافع، كما هو تعليمنا الحالي؛ هو ضارٌّ أكثر مما هو نافع، والمخرجات خير دليلٍ على ذلك.

وهذا التعليم الضارّ، يؤدّي إلى مجتمعٍ متعطّلٍ في قواه الإنتاجية، محبطٍ لمواهبه، جامدٍ في تفكيره، وأحاديٍّ في اهتماماته..

يؤدّي إلى مجتمعٍ جبانٍ يتقوقع حول ذاته، ويخاف من كل جديدٍ لا يدركه، ويؤمن بكل قديمٍ موروثٍ وإن كان لا يناسب العصر..

يؤدّي إلى مجتمعٍ شعاره: «هذا ما وجدنا عليه آباءنا»، وكلّ آماله وأحلامه العليا أن يعود إلى الوراء، وأن يعود إلى زمن الخلافة والولاية والحق الإلهي وما إلى ذلك من خرافاتٍ من المفترض أنّهُ قد تجاوزها في عقله ووعيه منذ قرون..

يؤدّي إلى مجتمعٍ يخشى من التجديد، والتفكير، وإعمال العقل والمنطق..

يؤدي إلى مجتمعٍ مصاب بمرض الخوف، يحب المألوف والمكرر، ولا يتساءل سوى في بديهيات تجيب عنها الفطرة السليمة عوضاً عن العقل..

يؤدي إلى مجتمعٍ عديم الإنتاج، لا ينتج المعرفة ويستقبل فقط..

يؤدي إلى مجتمعٍ أحاديٍّ لا يتنوع ولا يتعدد.

جميع أفراده في أرقى حالاتهم يدرسون الهندسة أو الطب إرضاءً للمجتمع وللوالدين وخوفاً من الآخرين وإن كانت عكس رغباتهم، ويتنافس جلهم على تخصصات محدودة، فيسبب البطالة لنفسه بنفسه، ولا يدرسون الزراعة والثروة السمكية، ولا يعرفون ما هي احتياجات بلدهم..

يؤدي إلى مجتمعٍ متعصب لآرائِه؛ شعاره: «أنت مَعَنا إذن أنت مع الله، أنت ضدّنا إذن أنت مع الشيطان».

يؤدي إلى مجتمع يعشق الجدل البيزنطي العقيم لذاته، وليس الجدال العلمي المنهجي؛ لأنه لا يتعلمه بالمدارس..

يؤدي إلى مجتمع جبانٍ لا يؤمن بعلمائه ونوابغه، ويحاربهم ويسفههم، ويحب ويعشق التطبيل للطغاة وتمجيد من يستعبده وينتقص من كرامته..

يؤدي إلى مجتمع لا يتمنطق ولا يشكّك في أفكاره، ولا يحاول حل مشكلاته لأنه لا يدرس الفلسفة والمنطق في المدارس، ويعتبرها علوماً قد عفى عليها الزمن وانقضى، وهو لم يتجاوزها بعد.

***

فالفلسفة هي أم العلوم، وبداية عصر أي نهضة يبدأ من عندها، ولا يمكن القفز من فوقها إلى عصر التكنولوجيا والتصنيع دون فكرٍ وفلسفةٍ.

***

ومشكلة التعليم هي في الأساس مشكلة مجتمع، وقضية التعليم ليست حكراً على أهل الاختصاص والتربويين، أو دكاترة الجامعات، أو السياسيين.

وهناك من هم أكثر منهم عمقاً، تجرُّداً، عبقريّةً، وبُعدَ نظرٍ، وهم المفكرون، وهم موجودون في كل الأزمان، وهم أعلى صورة من صور المعرفة في مجتمعاتهم.

ونخص منهم بالذكر المفكر التنويري الفرنسي الإنساني **جان جاك روسو** مؤلف كتاب إميل في التعليم وتربية الطفل، فقد كان كذلك أعلى صورة في مجتمعه في عصر الانحطاط والتخلف، وجسّد المجتمع الفرنسي بما فيه من قمعٍ للحريّات وتقديسٍ للأوهام والخرافات بأسلوبِ الفنّان المرهف المتألّم الحزين على حال مجتمعه، وبعقل العالم التجريبي المستنبط.

والغريب أن **روسو** نفسه لم يتعلم تعليماً دراسياً!

ولا نقول إن الكتاب يعد منهجاً تربوياً للتعليم، وإنما هي أفكارٌ كتبها متناثرةً ومتباعدةً في فصولٍ شتّى، متأثّراً بأطروحات **جون لوك** في المعرفة والتربية.

والكتاب تم إحراقه في عصره لأنه غير مألوفٍ في أفكاره، ولأنه ثار على نظام التربية القديم وتقديس الكهان.

وهذا يدلّ على أنّ الغرب كان حينها متخلفاً، وكان يعاني نفس مشكلاتنا اليوم من قيودٍ للفكر وتقديسٍ للخرافات التي ما نزّل الله بها من سلطان، ومن زرعٍ للأوهام في عقولِ الأطفال.

ومن ثَمَّ ثاروا من أجلِ الكتاب، ثارت فرنسا وألمانيا، ونادوا بأفكاره التي تغلغلت في نفوسهم بعد موته وكانت سبباً رئيسيّاً لإنشاء نظامٍ تربويٍّ وطنيٍّ في ظل أحداث الثورة الفرنسية.

لماذا يهربون من المدارس؟

أصبحت لديّ قناعة كبيرة أن المدارس والتعليم الحالي سببٌ رئيسيٌّ لزيادة أعداد المنضمين من الأطفال الطلاب إلى جبهات الحروب والقتال وزيادة حالة الإحباط والتمرد في المجتمع.

ومن يتأمّل حال الكثيرين من الأطفال البائسين والمغلوبين على أمرهم وهم يذهبون لساحات الحروب دون قناعاتٍ شخصية، دون إيمانٍ حقيقيٍّ بقضيةٍ ما، ودون دعمٍ عائليٍّ وموافقةٍ على ذلك، أو توجه أيديولوجي محدد مسبقاً، وإنما هروب من القيود، هروب من الواقع الأليم الذي نعيشه، وهروب من أسلوب التعليم، ومن ضغوط الحياة وتعقيداتها، وهروب من الرأس مالية وجشع التجار واحتكار الأموال.

ولو فكّر أحدكم وتعمّق في التفكير لاستطاع ملاحظة ذلك بسهولة، وليس العكس هو الصحيح، وأن التعليم المدرسي يجفف منابع الإرهاب والتطرف، بل يزيده من حيث لا يعلم، سواء في الأفكار التي يغرسها والتي لا تؤثر في أخلاق الفرد، أو في القيود التي يضعها.

وتجدهم يذهبون للقتال دون إيمانٍ حقيقيٍّ بمبدأ القضية، وتجد أنّ التعليم الخاطئ الحاليّ سببٌ رئيسيٌّ لنفورٍ البعض منه، وهروبهم من المدارس إلى المعارك.

والمتأمل لحال الكثيرين من الطلاب وهم يتركون المدارس ويذهبون للقتال يجد أن الكثيرين منهم يذهبون للقتال وهم سعداء كأنّهم يجدون ضالّتهم في جبهات الحروب ويشعرون بتساوٍ بين الأفراد جميعاً، معاملة واحدة دون تفرقة.

فالتعليم الحالي في مجتمعنا لا يصنع أفراداً سعداء، بل تعساء، مكبوتين، مقيدين، يخافون من التعليم أكثر من خوفهم من الموت في الحروب، ويكرهون المدرسة كما لو كانت سجناً كبيراً وليست مكان علم ومعرفة من المفترض أن تزيد من سعادة الإنسان، وتزيد وعيه وشغفه بالحياة.
فهل هذا التعليم تعليمٌ نافعٌ نخشى من انحداره وانهياره؟!

الذي يجعل الطالب يذهب للحرب دون قناعةٍ دينيةٍ، أو توجّهٍ طائفيّ، أو دعم من الأسرة؛ فتجد والديه يرفضان ذهابه، ومع ذلك يصرّ على الذهاب فقط ليهرب من جحيم ومن قيود التعليم، ومن أسلوبه الجاف في معاملة النفوس المختلفة المتفاوتة في القدرات والإمكانيات والمواهب!

إن المعلم الذي ينصح الطالب بالدراسة وعدم الذهاب إلى جبهات الحروب قد يكون هو نفسه سبباً رئيسياً لذهاب الطفل للقتال، وترك القلم والكتاب، وأخذ السلاح من حيث لا يدري المعلم نفسه أنه سبب رئيسي.

ومن ثَمَّ يتساءلون: لماذا يهربون من المدارس إلى القتال وهم أطفال؟!

لماذا يترك الطالب المدرسة؟

إنّهم يجدون سعادةً، وبساطةً، وتساوياً بين الناس في جبهات القتال، فلا فرقَ هناك بين ذكيٍّ وغبيّ، جميعهم يشعر بأن له أهمية وقرار.

بينما المدارس لا تُشعِرهم بتلك الأهمية.

هناك لا أحد يخبرهم بكلماتٍ نسمعها كثيراً في مدارسنا:

«أنت فاشل! أنت لا تصلح لشيء! أنت غبيّ! أنت صايع... إلخ» من الشتائم التي تؤثر في نفس الطفل تأثيراً كبيراً لا يُستهان به، فهل هذا أسلوب معلم وأسلوب تعليم؟ أم أسلوب إرهاب، وتحطيم، وإهانة لكرامة الإنسان؟!

أمّا هناك في الجبهات، فيشعرون أنهم ناجحون، وأنهم أصحاب قرار، ولهم فاعلية في المجتمع، ولديهم ألقاب محترمة يعرفها الجميع، توزعها الجماعات لإرضاء أفرادها وتعزيز الـ(أنا)في نفوسهم.

أمّا مدارسنا، فالكثير منها تشعرهم أنهم فاشلون، أغبياء، صعاليك، لا يستطيعون أخذ قرار، ولا يمكن أن يصلوا إلى العلم مهما اجتهدوا، وأنه لا أمل فيهم ولا مستقبل لديهم، وأن مصيرهم إلى البطالة والضياع كما هو مصير أسلافهم الحاصلين على الشهادات.

إن هذه الكلمات التي يسمعها الطالب في المدارس هي جرائمُ فِكر، جرائم عقل، وجرائم تربيةٍ يرتكبها التعليم تساوي جرائم الجماعات المختلفة التي تأخذ الطفل للقتال وتستغل حالة الإحباط والفقر التي يعيشها، فيحبّها هروباً من واقعه المظلم، ويسعد بها، ويضحي من أجلها، يردد شعاراتها، يتعلم

تعليمها، ويحذو حذوها في أسابيع فقط؛ لأنها تشعره بأهميته وأنه عضوٌ فعّالٌ في المجتمعِ وله مكانةٌ مرموقة.

***

التعليم والعبقرية

يحتاج الإنسان ليكون عبقرياً إلى فضول العالِم، أي الفضول العلمي، والتساؤل حيال كل شيء يقع تحت يده بحيث يصبح عاشقاً مهووساً بالمعرفة.

يحتاج أيضاً إلى دهشةِ الفيلسوف وكأنّه يكتشف الأشياء لأول مرة، مثل الطفل تماماً الذي يتساءل بدهشةٍ عن الأمور البديهية التي يعتبرها الكبار أموراً مسلَّماً بها ولا تحتاج لتساؤلٍ وتفكير.

فالأطفال جميعهم عباقرة حتى يأتي التعليم ويقتل دهشتهم، ويقتل فضولهم وتساؤلاتهم، ويقمعها، ويريد منهم أن يحفظوا فقط لا أن يتخيّلوا ويُكوّنوا صورةً عن ماهية تلك الأشياء التي يحفظونها؛ فالطفل يحاول أن يُكوّن صورةً عن الأشياء من حوله، ويحاول أن يُكوّن معرفة خاصة به بتجميع الصور المتعددة في مخيّلته.

ويحتاج الإنسان ليكون عبقريّاً أن يكون طفلاً حتى يموت، أن يُدهش بكل حدثٍ يبدو مألوفاً ومُكرّراً في نظر الآخرين، وأن يمتلك مخزوناً لغويّاً مناسباً ليعبّر عمّا يشاهد بقالبٍ لغويٍّ مناسبٍ.

وهذا هو الفارق بين الطفل وبين العبقريّ؛ فالأطفال لا يملكون مخزوناً لغويّاً للتعبير عمّا يشاهدون من أمورٍ غير مألوفة.

يحتاج أيضاً إلى التأمل، وإطالة التفكير، وإجراء التجارب المختلفة، فعلوم الجغرافيا والفلك -مثلاً- لا تحُفظ، ولا جدوى من حفظِها بحذافيرها كما في مدارسِنا، ولا يمكننا تعلّمها إلا بالاستكشاف، بالمحاكاةِ مع الطبيعة، والتجربة، وبمعرفة أماكن الخريطة التي يرسمها الطالب.

والعلم بشكلٍ عامٍّ يُكتَشَف ولا يُلَقَّن، ولو رسم الطالب خريطة الجمهورية -مثلاً- وهو لا يعرف أين تقع تلك البلدان التي رسمها فما جدوى ذلك الحفظ؟!

ويكفي أن يتعلّم الطالب رسم خريطةِ منزله، ومدرستِه، ومحيطه حتى يستطيع أن يُكوّن صورةً حقيقيّةً في مخيّلته عن ذلك الشيء الذي يرسمه ويتعلمه.

يحتاج أيضاً إلى إحساس الفنّانِ المُرهَفِ ليلتقط ويحسّب الحقائق من حولِه؛ فالتعليم يقتل الإحساس، ويقتل الجمال في النفوس، ويقتل التأمل، ولا يهتم بجانب الفنِّ والروح.

يحتاج إلى القراءةِ وربطها بالواقع لا فصلها عن الواقع؛ فالقراءة قد يكون ضررها أكثر من فوائدها إذا تمّ فصلها عن الواقع.

يحتاج إلى الشّغف والإرادة التي تتناسب مع شغفه.

يحتاج إلى المثابرة لا الاجتهاد، أن يبقى مثابراً حتى مماته.

يحتاج إلى الخيالِ تارةً، التأمُّلِ تارةً، والتفكيرِ تارةً أُخرى.

يحتاج إلى الصبر ليتوصل إلى الحقائق الكونيّة والمعرفية بمفرده.

يحتاج إلى براءة الأطفال، وجراءة الأُسُود، وعزمِ وتحمُّلِ وصبرِ الجِمالِ ليتمكنَ من الاستمرار.

وقد يقول قائلٌ إنه ليس الجميع عباقرةً حتى يعتمدوا على شغفهم الذاتي، ويصبحوا عباقرةً ولا يعتمدون على المدارس، وإنّ التعليم ليس غايته إنتاج العباقرة، وإنّ معظم العباقرة لم يأتوا من المدارس والجامعات، وإنّ العبقرية هبة إلهية غير خاضعة لشروط أو قيود، وليس للإرادة دورٌ كبيرٌ في إنتاجها، وإنّ غاية التعليم هي تنشئة إنسان كامل صالح لنفسه ولمجتمعه، وإنّ الناس يختلفون ويتفاوتون في الإمكانيات وفي القدرات، وإننا بحاجة إلى العدالة «أن يجد كل إنسان مكانته وضالته»، لا إلى المساواة الكاذبة، وهذا الكلام صحيحٌ إلى حدٍّ كبير، وهذا هو ما أريد أن أصل إليه. إنّ النّاس ليس جميعهم عباقرة، ويتفاوتون في القدرات والاهتمامات والمواهب، ويتشابهون ويتساوون في الغرائز.

والإنسان بالفطرة وبالغريزة يحبُّ أن يتعلم، ويحبُّ أن يتطور، ويحبُّ أن يجدَ ضالّته في المجتمع، ولا يحبُّ أن يكون غريباً معزولاً، يشعر دوماً بالضياع، دون عنايةٍ واهتمام واندماج مع أفراد مجتمعه، سواء أكان عبقرياً أو غير ذلك، وسواء أكان تعليمه تعليماً مدرسيّاً أو ذاتيّاً خارج إطار المدرسة. ويحبُّ أن ينجح، وأن يكون محل اهتمام الناس، ويحبُّ أن يُشار إليه بالبنان ويصبح متفوقاً عبقرياً.

وإنما التعليم النمطي الذي لا يكتشف المواهب، ولا يشجع على التعدد والتنوع والاختلاف، ولا يعرّف الناس بمواقعهم وأماكنهم، ويعاير الطُلّاب بمعيارٍ أحاديّ، ولا يحبِّب الطالب في التعليم، ولا يشجّع على التساؤل والاستكشاف، بالرحلات الترفيهيّةِ والتسلية، لا بالإرهاب والتخويف، ويحثُّ على الحفظ، والحشو، والتلقين، والتعقيد، وعدم التفكير، هو السبب في جهل الناس، وفشلهم، وإحباطهم، وكرههم، ونفورهم من التعليم، وهروبهم من المدارس، وحرقهم للكتب بعد التخرج.

فهل من المعقول أن يصل بالطالب الكره للتعليم إلى درجة أن يحرق الكتاب؟!

وهل تدرك المدارس خطورة وكارثة أن يحرق الطالب الكتاب بعد الاختبارات؟

وماهي الأسباب والدوافع التي جعلت الكثيرين من الطلاب يحرقون الكتب بعد انتهاء العام الدراسي، إلا إذا كان الطالب لا يحبّ التعليم.

فلماذا لا يحب التعليم مع أن فطرة الإنسان حبّ التعلم؟!

***

يقول العلّامة **ابن خلدون** مؤسس علم الاجتماع الحديث:

«إن التعلّم ميلٌ طبيعيٌّ في الإنسان قد يكتسبه بنفسه من التجربة، أو قد يأخذه عن سواه».

فهدف المعلم الناجح هو فقط إحياء الفطرة في الإنسان وتحبيبه بالعلم، وبالاستكشاف، وبالرحلات الترفيهيّة دون خوف، وبالتساؤل والمحاورة مع الطالب وإشراكه في العلم، وبتبادلِ المعارف، فقد يصبح المعلم طالباً ويتعلم من الطالب إذا ما وجد عنده معلومةً نافعةً ووجد عنده الحجة والإقناع، فإن يخبر المعلم الطالب أنه قد إستفاد منه فذلك سيشجع الطالب كثيراً على حبّ المعرفة وحبِّ البحثِ والتعلُّمِ من تلقاء نفسه دون أن يشعر أنه مجبورٌ على التعلّم، وأنه محاطٌ بالقيود والمخاوف، وبأنه مجبورٌ على الصراع والمنافسة، لأن حبَّ التعلمِ فطرةٌ في الإنسان.

* * *

التعليم والفن

ويغفل التعليم تماماً عن الفنِّ والفنون بشكلٍ عامٍ بينما يهتم بجانب العلم فقط، مع أنّ العلم والفنّ بينهما علاقة تكامُلٍ لا تَنَافُر، فالفنُّ يسمو بالروح ويحرّك المشاعر والوجدان، ومن خلال الفنِّ نستطيع التوصل إلى الحقائق الكونيّة والمعرفية.

الفن يكشف عن ذاتنا ويطلعنا على كنوزها وأسرارها.

الفنّ يحررنا من استعباد الإرادة.

والعلم والفن هُما وسيلتان لمعرفةِ عالمٍ واحد، ولا يوجد عالِمٌ أو مبدِعٌ أو مفكِّرٌ لم يكن فنّاناً بالأصل ويمتلك حسّاً مرهفاً ومشاعر فياضةٍ لفهم الأشياء من حوله.

والفنّ في أساسه وجوهره حاجةٌ أصيلةٌ عند الإنسان، بل حتى لدى الحيوان، فالبلبل يتوق إلى التغريد مثلما يبحث عن الطعام.

الطفل لا ينام أحياناً إلا بموسيقى ناعمة وصوت شجي، والأمثال كثيرة..

فالفنُّ لم يكن ولن يكون مضادّاً للقيم الاجتماعية أو الأخلاقية، لكنه قد يتحول إلى سلاحٍ مضادٍّ للمجتمع إذا انحدر وأُسِيء استخدامه.

وقد كانت الفنون دائماً من أفضل الوسائل لتطهير النفوس، بل حتى شحذ الذكاء وتنمية القدرات العقلية.

والموسيقى تتفوق على بقية الفنون في مقدرتها على رفعنا والسمو بنا فوق كفاح الإرادة.

والفن الذي يستعمل اليوم من كلمات بذيئة رديئة مبتذلة لا تحرك المشاعر والوجدان ولا تسمو بالروح وتحرك الشهوة والغريزة، ليس هو المقصود، ويخيّل إلى القارئ أنّ ذلك هو منتهى الفن، وهو لا يمت للفن بصلةٍ، وليس هو ما نعنيه.

والزخارف والعمُران تَسمّى فنّاً، الرسم فنّ، الرواية فنّ، الفلسفة ذاتها علمٌ وفنّ، والموسيقى فن، والفنُّ هو ما يهتم بتجميل الحياةِ وتصويرها بما فيها من قبحٍ ومآسٍ في لوحةٍ أو صورةٍ أو قصيدة، وكلُّ إنسانٍ هو فنّانٌ بقدرٍ أو بآخر.

ولم يشذُذ الفلاسفة المسلمون في اعتقادهم أيضاً بأهمية الموسيقى وأهمية الفنِّ في تربية النفس وتهذيبها، ومنهم الكندي، والفارابي، وابن رشد، وغيرهم..

فالأحرى بنظام التعليم عدم قتل الفنون بمختلف أنواعها، وإحياء الجمال في النفوس، بالموسيقى التي تهذب الروح، والرياضة التي تحرك الذهن، وبزيادة حصص اللعب والنشاطات الترفيهية، وبتفعيل خشبة المسرح والتمثيل، والتشجيع على الفنون المختلفة، والتعلُّم بالرسم وبالصور وبالملاحظة الحرةِ لا بالأرقام فقط.

ومادة الرياضيات نفسها ليست أرقاماً وعمليات حسابية فقط كما تعلمناها في المدارس، بل هي المنطق العلمي والبرهان على الأفكار بعمليات رياضية حسابية.

***

وهناك مثالٌ يعبّر عما أريد إيصاله، وقد تنبّهتُ إليه مؤخراً لنجوم الكوميديا في مصر؛ الراحل الفنان سعيد صالح، والفنان عادل إمام وهم أبطال مسرحية مدرسة المشاغبين الشهيرة، وفي مقابلةٍ لسعيد صالح يقول:

«إحنا كنّا كده في المدرسة بالحقيقة، أنا وعادل إمام» أي يتحدث عن مدرسة المشاغبين، يعني أنّهم كانوا من الأغبياء والمستهترين في المدرسة في الحقيقة، وكانت مقيّدة لهم ولإبداعهم «ولو لم يوجد مسرح كنت زماني في السجن».

هكذا يقول سعيد صالح.

وعندما درس المسرح حصل على المركز الأول وأصبح ذكيّاً وعبقريّاً.

ويُقال كثيراً إن مسرحية مدرسة المشاغبين قد أضرّت بالتعليم ضرراً كبيراً، وما زال العالم العربي يدفع ضررها إلى اليوم بجعل المدرسة والمدرس سخرية للطالب، وإسقاط القدوة وهو المعلم ومدير المدرسة.

وقد وصف د. مصطفى كمال حلمي وزير التعليم العالي في مصر أنّ المسرحيّة كانت واحدةً من الأسباب التي أدت إلى انهيار التعليم في مصر والوطن العربي؛ لأنها أفقدت المعلم هيبته، وهذه حقيقةٌ من الجانب الأخلاقي، فقد أضرّت بالجانب الأخلاقي للطفل، وأصبح الكثير يقلّدها في المدارس بشكل سلبي.

وللإنصاف والعدل فإنّ هناك حقيقةٌ أخرى من الجانب الإنساني والنفسي للفرد كشفتها المسرحية ولم ينتبه إليها الكثيرون ومنهم الوزير، وهي الظلم والقيود لأصحاب المواهب أمثال عادل إمام، وسعيد صالح، ويونس شلبي، من المتمردين الذين يعانون من قيود التعليم النمطي الجامد والذي لا يركّز على المواهب الكوميدية والتي تشترط ذكاءً عالياً، ومن ثمّ يلجؤون إلى السخرية والاستخفاف والكوميديا السوداء عندما لا يجدون أنفسهم، وعندما تتم معايرتهم بمعيار آخر للذكاء.

فكم عندنا مبدعون أمثال بهجت وزناتي؛ نجمي مسرحية مدرسة المشاغبين، وأصحاب مواهب جميلة، ومواهب كوميدية، ومواهب مختلفة متنوعة لا يجدون سعادتهم ونجاحهم الشخصي، ولا يستبعد أن الكثيرين منهم في السجون بتهمة التمرد والجنون.

فالفنان يبدع ويتألّق عندما يعبّر عن واقعه، وهذا هو سر نجاح المسرحية، فقد كانت تعبر عن واقعهم ونفورهم من التعليم المدرسي.

ولا أستبعد أن سلوك سعيد صالح ويونس شلبي وعادل إمام في مسرحية مدرسة المشاغبين هو نفس سلوكهم الحقيقي في المدارس، وكانوا يميلون إلى السخرية والاستخفاف بالتعليم وكأنهم في المسرحية يفشون غلّهم وحقدهم وغضبهم على هذا التعليم الذي لم يكتشف موهبتهم بشكلٍ مبكّر، وكان يعايرهم بمعيارٍ أحادي للذكاء.

***

ويوجد عدد كبير من المشاهير والعلماء والعباقرة والفنانين والموهوبين كانوا يعانون من صعوبات في التعلم ولم يفهم التعليم نوع ذكائهم المختلف، ومنهم الممثل الهندي الشهير**عامر خان** عبقري بوليوود الذي اعترف بضعفه في السنوات الأولى من التعليم الدراسي وتأخره في القراءة وفي الربط بين الحروف في سنواته الأولى من الطفولة.

وقد ناقش صعوبات التعلم في فيلمه الشهير**ن جوم على الأرض** عن الطفل إيشان ذي الثمانية أعوام، المغلوب على أمره والذي زادت الأسرة من سوء حالته النفسية، بتحميله أعباءه وآمالاً عليا وطموحات لا طاقة له بها، ولم تفهم نوع ذكائه المختلف، إضافة إلى التعليم الخاطئ الذي مورس ضده من قبل المدرسة.

وكم عندنا أطفال أمثال إيشان يعانون من صعوبات التعلم، ومن قيود ومن آلام وأوجاع لا تفهمها الأسرة ولا المعلم ولا المدرسة، ويهربون من الواقع، إلى جبهات الحروب، يهربون إلى الجماعات المختلفة، ويتخذون من العنف مع الآخرين وسيلةً للتعبير عن رغباتهم وطاقاتهم المكبوتة عندما لا يجدون ضالّتهم التي تحقق لهم سعادتهم الشخصية.

والتعليم الخاطئ الذي فَرَضَ عليهم نمطاً واحداً للتعلم له دورٌ كبيرٌ في سلوكهم المتمرد.

وأيضاً في الفيلم الشهير الثلاثة البلهاء، هناك قضية أخرى ناقشها عامر خان في التعليم، وهي قضية الحفظ والحشو دون تفكير، وتعقيد المناهج، وممارسة الإرهاب الفكري، وزرع الخوف في الطالب، وكأنّ الجامعات معسكرات قتال وليست أماكن تعليم من المفترض أن يحبها الإنسان من تلقاء نفسه ولا ينفر منها.

فالفكرة الجوهرية في الفيلم المراد إيصالها للجمهور، هي أنّ البساطة أعمق من التعقيد، وأنّ المعلم الناجح يستطيع أن يشرح فكرته في سطرين، ويستطيع أن يشرحها في مائة صفحة، ويطيل الشرح، ويستطيع التبسيط.

***

وإني أضيف على ذلك مثالاً في البساطة «بأنك إذا رأيت شخصاً يتحذلق ويكتب كلاماً طويلاً مبهماً ويصعب عليك فهم ما يكتب، وأردت أن تتأكد إن كان يفهم ما يكتب.. أم مجرد ناقل أو حافظ، فما عليك إلا أن تطلب منه طلباً بسيطاً، أن يلخص ما كتب في سطرين، فإن استطاع أن يلخص فكرته في سطرين.. فهو يفهم ما يكتب، وإن تلعثم وتعثر ولم يستطع فهو إما سارقاً أو يحفظ المعلومات ومجرد ناقل».

التعليم والتجربة

العقول عند العلامة**ابن خلدون** ثلاثة أنواع:

- عقل إدراكي: يدرك الأشياء بالتلقين والمحاكاة العقليةِ، دون تجربتها.
- وعقل ملاحظي: يتعلّم بالملاحظة والاستكشاف.
- وعقل تجريبيّ: يتعلّم بالتجربة.

***

ومناهج التعليم الدراسية لا تهتم سوى بنوعٍ واحدٍ من العقول وهو العقل الإدراكي، وهنا تكمن الكارثة!

وعليها نصف الشخص بأنه ذكيّ أو غبي من خلال إدراكه لما يتم حشوه من معلومات، ونغفل عن الملاحظة والتجربة والاستنتاج. والإدراك هنُا لا معنى ولا قيمة له دون تجربةٍ واستكشاف؛ بل في بعض حالاته أصبح كارثيّاً على الأجيال وعلى الأطفال الذين يتعلمون بالملاحظة وبالتجربة والاستكشاف.

فالعلم لا يأتي إلا بالاستكشاف، والتساؤل الفلسفي، والبحث، وعمل المقارنة والمقاربة، والتواضع المعرفي، والفضول العلمي، والصبر، والتصبر، وإجراء التجارب، ولا يأتي بالحشو والتلقين، ولا يأتي بالجمود والتكلّس العقلي ورفض التفكير والتجديد.

والتعليم الحالي في معظم الدول العربية هو تعليمٌ محطمٌ للمواهب، والنوابغ، للأطفال والأفراد بشكلٍ عامٍ بإغفاله أهمية الملاحظة وأهمية الاستكشاف، وأهمية التجربة في التعليم.

***

ومشكلة الكتب التي تعلمناها في المدارس أنها كتب لا تثير فضولنا المعرفي، ولا تجعلنا نفكر ولا نتساءل، كتب تثير الخوف والقلق فقط، ترهبك من السقوط والتعثر.

كتب جامدة تفتقد إلى الروح، تفتقد إلى الفن، تفتقد إلى الجمال بأسلوبها، تفتقد إلى عنصر الأخلاق، تفتقد إلى المنطق العلمي، تفتقد إلى التحفيز والخيال، تفتقد إلى عناصر الثقافة في محتواها..

مناهج جامدة دون روح، وتنقصها مواد في التفكير، وفي الأخلاق، وفي المنطق..

نحفظ عن أحمد شوقي قصائده حفظاً ولا نشعر بها مع أنّها شعر!

ولا ننمي ذلك الشعور وروح الكاتب..

الطالب يحرق الكتاب بعد أن يتخرج من شدة كرهه للتعليم..

المعلم يحرم الطالب من حصص الرياضةِ حتى يزيد كبته وتعقيده مع أنها من حقه وهي حصّة كباقي الحِصص، بل أهم حصة هي حصة اللعب، ولا أعلم لماذا يحُرم الطالب من حصص الرياضة ومن اللعب كعقابٍ قاسٍ.

إنّ التعليم لذّة، العلم استكشاف، والعلمُ حبّ، ولا يمكن للإنسان أن يتعلم شيئاً لا يحبه.

ولا يدَّعي **غوته** الشاعر والمفكر الألماني الشهير أن معارفه العميقة والمتنوعة هي نتيجة لموهبته الكبيرة أو ذكائه الخارق، بل إنها تعود إلى اهتمامه بالمعرفة بسبب حبِّه العميق لها، لذلك فالحب عنده لازمٌ لامتلاك القدرة على الإبداع والتفكير والعمل، فالعلم فطرة وحب في الإنسان، والمدارس لا تحيي هذه الفطرة، بل تقتلها..

ومن هنا مكمن الفشل في التعليم، أنه يجعلنا لا نفكر، والتعليم من غير تفكيرٍ هو عبثٌ وإهدارٌ للوقت ويهتمّ فقط بالعلامات والأرقام..

ولو كنت دكتوراً في الجامعة ورأيت معظم الطلاب يحاولون الغشّ لما عاقبتهم على ذلك؛ لأني جعلت معيار التفوق هو ورقة الامتحان، وحينها سوف أراجع طريقة تعليمي؛ لأن الخطأ في الغالب من عندي وليس من

الطالب، وأبحث عن الأسباب والدوافع التي جعلت معظم الطلاب يلجؤون إلى تلك الوسائل.

فعندما يحاول معظم الطلبة الغشّ أثناء الامتحان فاعلم أن السبب في الغالب هو المعلم، وهذا لا يدل على عظمة المعلم أو صعوبة المادة، وإنما يدل على فشله في الشرح وعدم قدرته على تبسيط معلومته للطلبة بحيث يفهمها جميع الطلاب.

والمعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يوصل فكرته للطالب الذكي والغبي على حدٍّ سواء، ومن ثم يتم تقييمهم بناءً على التفكير والإبداع، لا على الحشو والتلقين، وهنا سوف يستوي الجميع، ولا نفرق بين غبي وذكي بمعايير خاطئة، فكلهم أغبياء وأذكياء في نفس الوقت، ولا يمكن للسمكة أن تتسلق الشجرة، لا يمكن للصقر أن يعيش في البحر، ولا يمكن للجبل أن يطير، والمجتمع الفعال يكون مجتمعاً تكامليّاً لا مجتمعاً تناحريّاً.

***

وفي كتاب أحلام الفلاسفة للكاتب والمفكر المصري **سلامة موسى** يتحدث الكاتب بكلماتٍ من نور حول أهميّة التجربة في التعليم، يقول:

«ولكنّ العلماء يعرفون أنّ التعليم الحقيقي هو أن يحتكّ الإنسان بالطبيعة ، ويعرف منها ما يريد أن يعرف مباشرةً، وأنه خيرٌ للصبيّ أن تلسع إصبعه بالنار مِن أن يُقالَ لهُ إنّ النار تحرق، وإنّ يوماً واحداً في الصحراء يقضيه في رملها ويستنشق هواءها، ويحسّ ظمأها، وتكتنفه بدواتها، خيرٌ له من أن يقرأ آلاف الكتب عن علاقة البداوة بالحضارة وحياة النبات والحيوان في الصحارى، وليس من العدل أن نقول إنّ كل تعليمٍ يجري الآن بواسطة القلم والورق، والحقّ أنّه لو كان كذلك لما تقدّم الطبّ ولا الهندسة؛ فلقد كان الطبيب العربي يقصر علمه في الأمراض على ما تعلمه بالعلم والورق، وكان الخلفاء يمنعون الأطباء من التشريح فبقي الطبّ لعبةً سخيفةً في أيدي المشعوذين. وكان علم القرون الوسطى يجري على هذا النحو، فلما كانت النهضة الأوربية الحديثة أخذ العلماء في هجران علوم الورق ولجأوا إلى الطبيعةِ فصاروا يشرِّحون النبات والحيوان، ويجربون بأيديهم التجارب العلمية. ولكن هذا الهجران لم يتم تماماً، فإن معظم ثقافتنا الآن هي ثقافة

الورق، وهي لذلك لا تقترن بأذهاننا ذلك الاقتران الشرعيّ المنجب، بل هي تُخالل أذهانَنا مُخالَلَةً عقيمة».

- التعليم الذاتي والتعليم الأكاديمي

التعليم الأكاديمي يعطيك شهادة، يعطيك معلومة، يعطيك ورقة، لكنّه لا يعطيك معرفة ولا مهارة، ولا يضمن لك أنّك متعلم، بل صاحب شهادة فقط.

وأظن أنه في المستقبل القريب سوف ينتهي التعليم الأكاديمي، ولن يصمد كثيراً، وسيظهر تعليم آخر يوافق روح العصر، ولا أعلم ما هو ولا كيفية حدوثه.

لكنّ التعليم الأكاديمي قارب على الانتهاء، ليس فقط في الدول العربية، بل في معظم دول العالم.

والتعليم الحقيقي في نظري هو التعليم الذاتي، فكل شيءٍ أصبح ميسراً للتعلّم، وبما يناسب شغفك وآمالك وطموحاتك العُليا، إلا أن المشكلة تكمن في الأعمال التي لا يجدها من شغفه الفيزياء أو علم الكون، أو الفلك، أو الفنون بمختلف أنواعها من موسيقى، وكتابة، وأدب، ورواية، ومسرح، إلا أنك قد تجدها في دول العالم المتقدم وتجد ضالّتك التي تحقق لك سعادتك ونجاحك الشخصي.

ولسنا هنا في صدد رفض التعليم الأكاديمي؛ لأنه أصبح ضرورة ملحّة واحتياجاً أساسياً من أجل المنافسة وله أهميته على المستوى الجماعي، وقد فُرِضَ علينا فرضاً دون اختيارٍ منّا، وأصبح مقياساً لنجاح الشخص وتفوقه، بل شرطاً أساسيّاً للزواج في كثيرٍ من الحالات، وإنما نسعى لتطويرهِ وتحسينه وتجديده بحيث يعطي لنا ثقافةً ومعرفةً وعلماً في أبسط حالاته.

فالثقافة في عناصرها الأربعة، فصل جمال، وفصل أخلاق، وفصل منطق، وفصل علم، وليست في الكمّ الهائل من المعلومات الجافّة التي نحصل عليها في المدارس دون إحساس وشعور بها ودون تذوق، بل إنّنا نكره ما تعلمناه ونكره أن نتذكر ما درسنا في كثير من الحالات.

ولو سألتَ خرّيج مدرسة ثانوية عن قصيدة المتنبي التي درسها في الأدب الذي يُعنى بفصل الجمال، أو عن تاريخ العثمانيين الذي تعلمناه في التاريخ، أو عن قانون التصادم في الفيزياء، الذي يعُنى بفصل العلم، فسوف يرد عليك بقوله: «لا تُذَكِّرني الهم أمانة!».

فهل التعليم في طبيعته همٌّ، وغمٌّ، وضيقٌ، أم فطرة فطرنا الله عليها؟! وهل المعرفة في ذاتها تستدعي هذا القلق والخوف الذي يزُرع في الطالب؟!

فلماذا الخوف من أساسه؟! الخوف الذي يجعل الطالب لا يريد أن يتذكر حتى ما تعلّم. وما الفائدة إذن من السنوات المهدرة إذا كنّا لا نريد أن نتذكر ما تعلّمناه؟

فالتعليم في وضعه الحالي تعليمٌ فاشلٌ بكلِّ المقاييس على المستوى الفردي، يسلبنا حرّيتنا، ويسرق تعليمنا الحقيقي، ويخدعنا بتوهّم العلم، يهدف إلى إخضاعنا إلى إرادة الحياة وفرض شروطها القاسية علينا من روتين ممل قاتل لكلّ إبداع، وقاتل لكلّ تفكير حر، ولكلّ جمال..

وكلّ تلك أعمال استعبادية تهدف إلى تكبيلنا بالقيود وحصرنا في زوايا محدودة خلف أبوابٍ مُظلمةٍ مُعتمةٍ لا نور فيها..

تعليمٌ يرهبنا بنظام الدرجات الظالم الذي لا يراعي فوارق العقول في التعلّم، ولا يراعي أنواع الذكاء المتعدد.

وبداية الإصلاح تبدأ بإلغاء نظام الدرجات حتى ينقشع الخوف والرهبة من نفوس الأفراد، ويتعلم الإنسان بالفطرة عن حبٍّ واستكشافٍ وفضول، والتعلم باللعب والرحلات، وإحياء العقل المفكر المستكشف.

ونظام الدرجات الحالي هو أيضاً سببٌ رئيسيٌّ للغش، فعندما تكون الدرجات والإختبار النهائي هي المقياس الوحيد للنجاح والتفوق، فمن الطبيعي جداً أن يجهّز الطالب نفسه بالبراشيم والغشّ ليتجاوز هذا اليوم، والغاية تبرر الوسيلة، فالمهم هو النجاح، والمعيار هو الدرجات لا تحصيل العلم على مدار العام كاملاً، بل على مدار الحياة.

فمن الظلم والعبث أن يُقاس ذكاء المرء في يوم واحد ويهمل بقية الحياة، وأن يقاس بمعيار أحادي وهو الحشو والتلقين.

***

أما التعليم الذاتي الحرّ فيجلب لك العقل ويعطيك معرفة، فالمعرفة ليست حفظاً ولا حشواً، وإنما خليطٌ من القراءة، والتجارب، والاستكشاف، وحبّ المغامرة.

ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى الحقائق العلمية ويصبح متعلماً حقيقياً إلا من خلال التجربة، فالمعرفة التي نأخذها من غير تجربة هي معرفة واهية ولا تسمى معرفة من أساسه، ولا يمكننا الاعتماد عليها، ويغلب عليها الظن وليس اليقين..

فنحن مثلاً نحفظ مصطلحات علمية، كالترانستور، النواة، البروتين، الذرّة، والأشعة الكهرومغناطيسية، وغيرها من المصطلحات التي نحفظها، ولكننا لا يمكننا البرهان عليها، ولا نشعر بها وبوجودها إلا من خلال التجربة.

وهناك معيار لمعرفة إذا ما كنا نفهم المعلومات أو نحفظها فقط، إذا استطعنا أن نأتي بعكسها، فنحن نفهم ونشعر بها ونكوّن معرفة حقيقية.

أمّا إذا لم نستطِع فهو مجرد حفظ ولا يعتبر علماً حقيقيّاً..

فما يدرينا مثلاً أن الدواء هذا يشفي مرض السكر، أو أنّ التطعيم نافعٌ للطفل، ما يدرينا لو كانت حملات التطعيم ضارّة وتسبب الأمراض، وباطنها الخير وظاهرها العذاب ونحن لم نجرب، ولم نستكشف شيئاً..

ونظريات كثيرة نحفظها كالنسبية لـ آينشتاين، وميكانيكا الكم لـ شرودنغر، وغيرها من العلوم التي لا نعرف عنها شيئاً.

نحن لا يمكننا أن نشعر بالحب إلا إذا أحببنا، ولا يمكن لنا أن ندرك الرحمة إلا إذا كنّا رُحماء، ولا نفهم خفايا السياسة ودهاليزها ومكايدها إلا إذا اشتغلنا في السياسة.

والحضارة الإنسانية لا ترتقي إلا عبر التجارب، والدولة الصالحة حالها حال الإنسان، لا يتعلم ويعقل إلا بالتجربة، ولا ترتقي الأمة في حضارتها وعلومها وفنونها ووعيها إلا بعد عدّة تجارب فاشلة، وبتراكم أفكار هائلة عبر سنوات من التجارب؛ فالتجربة هي المقياس الوحيد لصحّة ما نعتقد.

ونحن لم نجرب العلوم التي ندرسها ولا نعرف عنها شيئاً سوى أسمائها.

والعلم باختصار هو طريقة للتفكير وطريقة للتأمُّل والتجربة وليس مجموعة من المعلومات!

والناس في الغالب لا تكتشف هذه الحقيقة إلا بعد تخرّجها من الجامعات، ويصبحون بعد ذلك نادمين على ضياع عمرهم بتوهم العلم، ومن ثم يجدون أنّ مجالاتهم التي درسوها قد تخصص فيها الهواة، خصوصاً تخصص «الآي تي» والشبكات، الجميع يمارسه دون شهادات جامعية.

وقد يكون الهاوي بالشغف أكثر كفاءةً من الدارس أكاديمياً، وهذا ظلمٌ لمن أهدر سنواته في التخصّص الأكاديمي الذي لم يجلب له شيئاً، فلم يحصل على خبرة، لأنه لم يمارس العمل، ولم يحصل على عمل، لأن هناك من هو أكفأ منه.

والمشكلة أنه لا يوجد منع من الجهات الحكومية من مزاولة عمله، أو حلّ بحيث نفرّق بين صاحب الشهادة الأكاديمية، وبين المتعلم بالشغف، فمزاولة مهنة الطب مثلاً يمنع ممارستها إلا إذا كنت طبيباً وحامل شهادة.

أمّا الهندسة فيمارسها الجميع دون تخصّص، وكذلك السياسة والإدارة، مع أنّ مهنة السياسة أصعب من مهنة الطب.

***

فمثلاً نحن نختار أمهر الأطباء لمعالجتنا لأننا نخاف على معدتنا وعلى صحتنا، فالأحرى بنا كمواطنين أن نختار أمهر السياسيّين والإداريّين وأكفأهم ليحكمونا، وأكثرهم أمانةً وأخلاقاً حتى نضمن حقوقنا في الحياة التي تهمنا أكثر من صحتنا.

ومثلما نبحث عن أمهر الأطباء، يجب أن نبحث عن أمهر السياسيّين، وأمهر الإداريّين لضمان حقوقنا.

- التعليم والذاكرة

إن المدارس تفترض أن الذاكرة وسيلة لاستحضار المعلومات فقط، أثناء الامتحانات الشفوية أو النهائية، وكأن الطالب غوغل وويكيبيديا أوآلة، يمكنه تخزين المعلومات كيفما شاء، دون أن يستكشفها أو يجربها أو يلاحظها أو يتذوقها.

إن دماغ الإنسان يحتوي على العديد من الذاكرات، ويصعب على العلم معرفتها جميعاً، وليس في عقل الإنسان ذاكرة استحضارية فقط، ولا يصل العلم إلى العقل عبر الطرق المتشابهة في التعلم.

إن هناك ذاكرة حركية، ذاكرة حديثة لأحداث معينة لحظية، ذاكرة حسية جمالية وموسيقية طربية، وأخرى سمعية يمتلكها من يتعلمون اللغات بسهولة دون تكلف، وأخرى بصرية..

وأخرى بعيدة الأمد تتكون من خلال التجارب المعرفية والكونية التي يمر بها الإنسان في حياته، وتوجد عند الحكماء والعارفين، وآنية قصيرة الأمد، وذاكرة إجرائية تساعدنا على تذكر كيف نقوم بأعمال معينة، وذاكرة أخرى معلوماتية تحفظ الحقائق والمسلمات الجاهزة دون تحليل وتركيب وتفكير، وهذا النوع الأخير هو الشائع في المدارس، وهو المعيار الأحادي للتفوق والذكاء في المدارس.

إنني لا أحتقر الحفظ بشكل مطلق، فالعديد من الدول المتقدمة لا تحتقر الحفظ بشكل مطلق، فهو وسيلة من وسائل التعلم. ولا شك في ذلك، وله فوائد شتى، في تقوية الذاكرة الآنية قصيرة الأمد، لكن الكارثة هو أن يكون الحفظ هو الوسيلة الأحادية للتعلم، دون التجارب، والحس، والبصر، والسمع، واللعب.. والتأمل وغيرها من الوسائل الأخرى، فالحفظ وسيلة من وسائل التعلم، لكنه ليس الطريقة الأمثل للتعلم.

والطريقة المثلى للتعليم هي تحفيز أقسام شتى من الدماغ في ذات الوقت وربطها مع المعلومات، بحيث تصبح المعلومة معرفة، لا صفحات بيضاء جوفاء مفرغة من الجوهر، ومجرد بالونة لا أكثر.

ومن هنا نستطيع القول إن التعلم التفاعلي هو التعليم الأمثل، عوضاً عن التعليم التلقيني الذي أثبت فشله بجدارة، لا فشله على المستوى الأكاديمي فحسب، بل فشله على المستوى الواقعي وهو الأهم، بحيث يتخرج الطالب، ولا يملك أي مهارة تمكنه من مزاولة عمل أو مهنة.. سوى صفحة بيضاء جوفاء فارغة الجوهر.

- مشكلات أخرى في التعليم

ومن المشكلات الأخرى في التعليم غير المشكلات المتعارف عليها من انقطاعٍ للمرتّبات، ومن ظلمٍ للمعلّمين الذين لا يحصلون على حقوقهم، ومن غشٍّ، وإهمالٍ، وتسيُّبٍ للطلاب، ومن ضعف إمكانيّاتٍ، وحروبٍ واقتتالٍ داخليٍّ وخارجيّ، ومن قصفٍ للمدارس، ومن محاولةِ تغييرٍ للمناهجِ إلى مناهج حزبيّة طائفية، ومن تدخّل السياسة والسلطة في التعليم، ومن رشاوى في لجنة امتحانات، وغيرها من المشكلات المتعارف عليها..

فلا نكتب شيئاً متعارفاً عليه للجميع، وإنما مشكلات فكرية لا يراها الكثيرون، وهي أننا ندرس تخصصاتٍ ليس لها مكانٌ في المجتمع، وليس لها داعٍ.. مثالٌ على ذلك تخصص «فرنسي»، فما حاجتنا لمثل هذا التخصص؟! والغريب أن المدارس الأرستقراطية باهظة الثمن أصبح معظمها يدرّس مادة الفرنسيّ كذرٍّ الرمادِ على العيون، ولجلب ولفت الانتباه، ولزيادة الرسوم المالية فقط، مع أنّها ليست ذات أهميةٍ في وضعنا الحاليّ ولا تفيد المجتمع في شيء.

وكان الأَولى بالمدارس الأرستقراطية باهظة الثمن أن تستبدل هذه المادة بمواد أخرى في تنمية الفرد، وفي التفكير الإبداعي، وتنمية المواهب الخاصّة للفرد، وفي إحياء الضمير، وزرع الأخلاق، والتعايش، والتنشئة السليمة، لا أن نستورد تخصُّصاتٍ من الخارج فقط، وليس ما ينفع في مجتمع يشترط أن يكون نافعاً في مجتمع آخر مختلفٍ في طبيعةِ تكوينِه وبيئته وميراثه الأخلاقي والديني..

ولكلِّ مجتمع عواملُ نهضةٍ مختلفةٍ، وروح عصر وزمن مختلف يحدده المجتمع والزّمن نفسه.

ولم نسمع أن في اليابان يدرسون الفرنسيّ أو حتى الإنجليزيّ، فالعالم كلّه يتعلم بلغته الأمّ وهي كافيةٌ، وهناك أولوياتٌ يجب أن يهتمَّ بها التعليم، وتهتم بها المدارس الأهلية باهظة الثمن أولاً.

ولا نعني أنّ المشكلات المتعارف عليها من انقطاع المرتبات، ومن تردّي الخدمات، ومن ظلم وإهدارٍ لحقوق المعلم، ومن إقحامٍ للتطرف والتعصب في المناهج ليست مشكلات ذات أهمية؛ وإنما هي الأساس.

فالمعلم من المفترض أن يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع كما هو وضعه في الشعوب المتقدمة، والمال عصب الحياة، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدي واجباته كما ينبغي دون أن يكون له اعتبارٌ في المجتمع، ودون مالٍ يضمن له البقاء والعيش بحياةٍ كريمةٍ آمنة.

ومن المتعارف عليه أن في اليابان أعلى رواتب هي للمعلم، ولديهم امتيازات لا يحصل عليها الكثيرون.

ولكن قبل ذلك، العمل الشاق والصعب هو في اختيار المعلم، كيف يمكن اختياره، واختيار المعلم الناجح أمرٌ صعبٌ للغايةِ ويحتاج للتدريب والتأهيل، وهم قلّةٌ من يصلحون لهذه المهمة الصعبة، أهمها حب التعليم، أن يكون المعلم مُحِبّاً لعمله وشغوفاً به.

وليس كل حامل شهادةٍ يصلح للتدريس، وإنما قد تكون ظروفه من أجبرته على ذلك، وقد يجد ضالّته في مكانٍ آخر..

وأن يكون المعلم متجدّداً في أفكاره، صاحب معرفة وعلم وإبداع، خاضعة للبراهين والتجارب، لا صاحب معتقدات جاهزة فقط..

أن يحبّ العلم، ويحفّز طلابه على ذلك، ويدربهم على الملاحظة، والاستنباط، والتأمل، والتعلم بالتجارب، وإعمال العقل والإدراك، وتفعيل الحواس..

أن يمتلك مزايا ومهارات شتّى، أهمها الإقناع والاستماع إلى طلابه، والمعرفة العميقة في علم النفس، وعلم الاجتماع؛ لأنه مقبل على تعليم أفراد متنوعين في قدراتهم.

ومن المعلوم أنّ الطالب يقلّد معلمه في صفاته وأفعاله؛ لذا فالأخلاق والصدق وانفتاح الذهن والعقل صفات ملازمةٌ للمربي؛ إنّها مواصفات عالية يحتاجها المعلم ليتعلّم الطالب تعليماً حقيقيّاً، وحتى يكون التعليم نافعاً أكثر مما هو ضارّ، ويكون المعلم كذلك نافعاً أكثر مما هو ضارّ.

***

ومن المشكلات الفكرية للتعليم أنّه يخلط في المصطلحات، ولا يفرّق بين المجتهد والمثابر، يحثّنا دوماً على الاجتهاد لنيل الشهادات فقط وتعليقها في المنازل، ولا يحثّنا على المثابرة والاستمرار في التعلّم بعد التخرج، والتجديد الدائم لأفكارنا والتشكيك فيما نتعلم إذا اكتشفنا الجديد، ولا يشجّعنا على التفكير الإبداعي غير المألوف، ولا يحثّنا على حب التعليم لذاته وللمعرفة نفسها دون فوائد مادّية وشهادات ورقية، فالمثابرة تؤدي إلى العبقرية بعكس الاجتهاد الذي يكون مؤقتاً ولا يؤدّي إلى الإنتاج والإبداع، بل يؤدّي إلى الركود، التكلّس، والجمود بحجة الحصول على العلم والحصول على الشهادة، وهذا هو الوهم الكبير الذي يزرعه التعليم في عقولنا.

ويظنّ الكثيرون أنه لا فرق بين المثابرة والاجتهاد، والحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً، فالمجتهد يكون اجتهاده مؤقتاً لنيل شهادةٍ ما أو تعلّم لغةٍ جديدة، أي اجتهاداً مؤقتاً للوصول لهدفٍ شخصيٍّ دون الحصول على معرفة.

أمّا المثابر فهو لا يكون مجتهداً على المدى القصير، وإنما يكون مثابراً على مدىً بعيد؛ لذلك يظهر للناس بأنّه فاشل وهو أشدُّ اجتهاداً من المجتهد نفسه؛ لأنّ مثابرته تعتمد على شغفه، معاناته، أوجاعه، آلامه، وتجاربه الشخصية طويلة المدى للتوصُّل إلى الحقائق الكونيّة والحقائق المعرفيّة، فالمثابر يظلّ مثابراً حتى مماته.

ونحتاج إلى مجتمعٍ مثابرٍ يُعَلِّمُ نفسَه بنفسِه، فكلّ شيءٍ أصبح مُيسّراً للتعلم، ويعتمد على مصادر أخرى غير المعلم ليتعلم، ويحب المعرفة لذاتها دون منفعة شخصية.

فهل كان تشارلز داروين مجتهداً؟ أم مثابراً؟! بالطبع كان مثابراً وظلَّ عشرين عاماً يثابر ويبحث في علم الأحياء والنباتاتِ حتى توصّل لفكرةِ اشتراك الإنسان والقرد في جَدٍّ واحد، أي فكرة الانتخاب والارتقاء الطبيعي، وأنّ الارتقاء يكون على مستوى النوع، لا على مستوى الفرد كما هو مألوفٌ وشائع، وذلك بعد العديد من التجارب المختلفة، لكنه لم يكن مجتهداً، ورسب في كلية الطب، وانتقل إلى دراسةِ العلوم الدينية ورسب أيضاً.

ولسنا هنا في صدد الدفاع عن نظريّة التطوّر أو نقدها، وإنما عرض سيرة بعض العلماء من جانبٍ نفسيٍّ ومعاناتهم من التعليم النمطي

الأكاديمي.

أيضاً إيريك هوفر، عالم الاجتماع الشهير الذي لم يدخل المدرسة قطّ، مؤلّف كتاب المؤمن الصادق حول الإرهاب وأسبابه ودوافع الفرد للانضمام إلى حركاتِ الجماهير المختلفة، والذي نال شهرةً واسعةً وحصل على وسام الحرية الرئاسي في الولايات المتحدة بعام ١٩٨٣م، وكان يعمل حينها حمّالاً للسفن.

فهؤلاء العظماء أمثال هوفر وداروين وغيرهم قد أحدثوا ضجّاتٍ علميّةٍ وفكريّةٍ في كتاباتهم، وكانت مؤلفاتهم نقلةً نوعيّةً في تاريخ العلم، ولم يكونوا مجتهدين أي اجتهاد مؤقت لنيل شهادة فقط، بل كانوا مثابرين على المدى البعيد وظلّوا كذلك حتى وفاتهم واعتمدوا على شغفهم وتعليمهم الذاتي.

***

ومشكلة المدارس أنها لا تحفز الطالب على المثابرة بعيدة المدى من أجل الإنتاج والإبداع المستمر، وتحفزه على الاجتهاد المؤقت.

ونجد الطالب وحتى الدكتور والمعلم نفسه لا يجدّد أفكاره ومعارفه لسنوات، تجده يعيدها ويكررها ذاتها دون سأمٍ أو مللٍ أو حتى تفكيرٍ بمدى صحتها وقابليّتها للزمن الحالي.

ويظنّ الطالب أنه بعد التخرج قد أصبح متعلماً ويتباهى أمام الناس بذلك، وهذا أكبر وهمٍ يزرعه التعليم في عقولنا، هو وهمُ امتلاك العلم عند التخرج.

***

ومن المشكلات الأخرى في التعليم عدم الاهتمام بالمعاهد المهنية والتقنية والخروج المبكر لسوق العمل، وأننا لسنا جميعا بحاجة إلى شهادات عليا.

ومن هنا جاء الاقتراح القائل، بتقسيم التعليم من مراحله الأساسية إلى تعليم أخلاقي، تعليم مهني، تعليم منهجي، تعليم إبداعي.

- العلم والأخلاق

العلم ليس معياراً للنقاء، والأخلاق قبل كل شيء. والعلم يستخدم للشرّ في الغالب، فهناك عباقرةٌ مجرمون، والأخلاق قبل العلم، والنفس النقية الطاهرة -مع معرفة متواضعة جداً- خيرٌ من مليون نفس خبيثة تحمل شهادة بروفيسور وتقرأ عشرات الكتب، والأمم تحيا وترتقي بالأخلاق.

ومشكلتنا في المقام الأول هي مشكلة أخلاق، وغياب للضمير، والعلم يأتي لاحقاً، فالأخلاق أولاً.

وقد يتساءل البعض ماهي الأخلاق التي تطالب بها، فالأخلاق عند الفلاسفة المثاليين الحالمين تختلف عن الأخلاق عند السياسيين الانتهازيين، وتختلف عن رجل الاقتصاد الذي لا يرى الأخلاق إلا على شكل الأرباح.

والشعوب المظلومة والمقهورة تسوء أخلاقها-بتعبير ابن خلدون-، فالأخلاق لها ارتباط خفي بالرفاهية والعامل الاقتصادي للفرد.

والأخلاق شيءٌ نسبيٌّ من مجتمع إلى آخر، وما هو أخلاقيٌّ في مجتمع مثل الملبس مثلاً قد يكون أمراً عاديّاً في مجتمع آخر ومباحاً، وأخلاقُ البدو تختلف عن أخلاق الحضر، وأخلاق الغرب تختلف عن أخلاقنا في الشرق.

وفلسفة الأخلاق قد حيّرت كبار الفلاسفة، والماديّين قد أنكروا وجودها وبنوا فلسفتهم الماديّة باعتبار الأخلاق هي المنفعة الشخصية للفرد وما تحقق له مصلحة شخصية..

إذن ما هي الأخلاق التي تطالب بوجودها قبل العلم؟!

ثم إن الأخلاق شيء داخليّ في الإنسان، فكيف لنا أن نميّز أخلاق الفرد الحقيقية من الزائفة؟

فما أراه أن الأخلاق الحقيقية ليست التي تحقق المنفعة الشخصية للفرد، وليست الشكليات، وليست في الشكل والملبس، ولا الكلمات المنمقة التي نستخدمها للتملق وللكذب على البعض، فالأخلاق الحقيقية هي كيف نتصرف عندما نقع في لحظة اختيار حرّ، أي أن نكون أخلاقيين ونحنُ أحرار، عندما نحصل على الحرية كاملة دون رقيب أو حسيب، فلا مجتمع يراك، ولا قانون يمنعك ويروّضك ويكبّلك، فلك الحرية أن تتصرف بشكلٍ كاملٍ فلا أحد يراك.

فهنا تظهر الأخلاق الحقيقية للفرد، وهي نابعةٌ من تنشئةٍ سليمةٍ للفرد قد اكتسبها منذ طفولته ومن البيئة المحيطة حوله، وظهرت في لحظة اختيارٍ حرٍّ دون سلطةٍ تمنعه، ويكون سلوكه نفس سلوكه عندما كان مكبّلاً بالقيود، وكما لو كان مراقباً، ولا يتغير ولا يتبدل لأنه أصبح حرّاً، فهذه هي الأخلاق الحقيقيّة للفرد، وهي غير موجودة في شعوبنا بشكلٍ كبير، وموجودة في اليابان والشعوب الأخرى المتقدمة في وعيها وأخلاقها بقدرٍ أكبر، مما ينتج عنها تساوي الظاهر مع الباطن، ويعود أثرها بالإيجاب على المجتمع ويصلح حاله لأنّ الظاهر والباطن أصبح واحداً، فلا مكرٌ ولا خوف..

ليست تلك الأخلاق التي نُظهرُهَا ليكون مِن وراها مكسباً، ولا الإيمان السياسي الذي يكون من وراء مكسبٍ سياسيٍّ، وأفيونٍ ومخدّرٍ للشعوب، وآمال وأوهام عليا يتم زرعها في النفوس كما هو الإيمان الحاليّ في مجتمعنا الذي يدفعك بحماس نحو الشعارات الرنّانة باسم اللّه وباسم الحق التي تغيّب العقل تماماً، وتخدّره، وتحرك عقولنا اللا واعية الساذجة فلا تدري إن كنت مؤمناً مع اللّه أو مؤمناً مع الشيطان.

وهذه الأخلاق والمفاهيم الجديدة من الممكن جداً زرعها وغرسها في الأطفال، ويصعب جداً زرعها في الكبار الذين لم يألفوا عليها؛ لأن الطفل يكون على الفطرة مثلاً لمواد الخام تستطيع تفصيلها وتنشئتها، والعادات التي تتسرب في طفولته إلى مخيّلته ينشأ عليها وتبقى في ذاكرته حتى يموت ويفنى الجسد، ومن الصعب جداً إخراجها منه.

ولو تمت زراعة الخير، والتعايش، والأخلاق، والتفكير الحر وعدم اعتراضه، وعدم قتل فضول الأطفال ودهشتهم وتساؤلاتهم دون قيود، فعندما يكبرون سيناضلون على تلك القيم المزروعة بداخلهم ولن يستطيعوا التخلي عنها بسهولة أبداً، كما هو شعب اليابان مثلاً.

فمن المستحيل أن يستغنوا عن فكرة أنهم الشعب الذي يفخر بأنه لا يضيّع أيّ شيءٍ في بلده لفرط الأمانة في شعوبهم؛ فهم يفتخرون بأماناتهم وفي أعماق نفوسهم نشأوا عليها، وفي عقولهم الباطنة خُزّنت تلك المفاهيم الإيجابية من كثرة تكرارها، فالتعليم يحثُّ على ذلك، والبيئة أيضاً ملائمة، والأخلاق تنشأ من موروث شعبيّ ويصعب تغييرها ببساطةٍ وسهولةٍ، ومن الصعب نزعها من نفوسهم، وإن ترك أحدهم صفة الأمانة ومارس سلوكاً آخر شاذّاً تبقى نفسه تعذّبه وتؤلمه إلى أن يعود إلى ضميره ويرجع إلى أمانته مرةً أخرى.

أما في الشعوب العربية، فمثلاً الصلاة، الصيام، الحجاب، الحج ...إلخ، ستقاتلك الشعوب العربية لو جاء من ينزعها ويشكّك بأهميّتها، فتلك المسلّمات التي نعيشها ونفخر بها جداً ونعتبرها مُثُلاً عُليا للأخلاق والفضيلة، ولا جرم ولا فسوق ولا مشكلة في ذلك، ولا أحد يستطيع أن ينكر أهميّة الصلاة في النفس، وفي الاستقامة، وفي زيادة السعادة بالقرب من اللّه وبالصلوات، فالإنسان روحٌ وجسد، ولا يستطيع أن يعيش دون الروح ودون العبادات، ولها أهميةٌ كبرى في تزكية النفوس. وأهمية الحج أيضاً كتقاربٍ بين المؤمنين، وكلقاءٍ عالميٍّ يضمّ أفراداً مختلفين من جميع أنحاء العالم، وكتعايشٍ وتساوٍ بين المسلمين المؤمنين جميعاً.

إلا أنّنا أخذنا من الشعارات والعبادات ظاهرها وتركنا عمقها وباطنها، وجوهرها، فالصلاة هي صلةٌ بين العبد وربه، فالرحمة صلاة، والتعاون صلاة، والتفكير صلاة، والتدبّر صلاة، والعبادات صلاة. وكان التقصير في جانب الأخلاق، وجانب التفكير، وجانب القيم، والتسامح مع الأطفال، ولم يتعلّموا سوى الشعارات والطقوس فقط.

ومن المفترض أنّ شعارات الصلاة والصيام هي من تقود لتلك المبادئ الأخلاقيّة السامية.

ويوجد عندنا في البلدان العربية قانون لا أخلاقي وهو عندما نجد حيواناً كالكلب، أو القط، أو أيّ حيوان ضعيفٍ آخر، يقوم البعض بأخذ الحجر تلقائياً ورميه وكأنَّ اللّهَ خلق الحيوانات لنرميها بالأحجارِ مع أنها تحسّ وتتألّم وتتوجّع مثل الإنسان تماماً.

فلماذا هذه الساديّة والقسوة في الطفل؟ ومن أين اكتسبها؟ حتى لو كان الكلب صغيراً ولم يتسبب في إيذاء أحد نقوم برميه بالأحجار حتى يسيل الدم منه ولا نتأثّر.

وفي أحدِ الأيّام رأيت طفلاً يرمي الكلاب الصِغار بالأحجار وكأنّه يمارس هوايةً ولعبة! والغريب أن والده أمامه ويعلمه كيف يأخذ حجراً أكبر ويرمي الكلب، ولا يخبره بأنّ هذا التصرّف غير أخلاقيّ، وغير إيمانيّ، وأنه تصرّف خاطئ، والغريبُ أنّهُم كانوا ذاهبين للمسجد للصلاة، فهو يصلي، ويعلّم ولده الصلاة والشعائر والحركات فقط، ولا يعلّمه أهمية الصلاة، وجوهرها، وروحها، وهو أنّ الصلاة هدفها منع هذا التصرف، ومنع المنكر، فينشأ صراعٌ نفسيّ بين المخيّلة الدينية في عقولنا الباطنة وبين تصرفنا الواقعي، فالفضيلة والأخلاق في مخيّلتنا هي فقط الشعارات.

فما ينشأ عليه الطفل ليس من السهل أن يتخلّص منه، فالإنسان عبدٌ لما تعوّد وتعلّم، وعدوّ ما يجهل، ويكره كلما هو جديد وغير مألوف، ويحتاج إلى رحلةٍ شاقّةٍ جداً ورحلةٍ كبيرةٍ جداً ليتخلص مما تم تعليمه إياه.

ومن هنُا، لابد من تعليم الأطفال أشياء ملموسة في واقع حياتهم، ويرى أثرها المجتمع ككلّ، حتى تنشأ لديه مخيّلة إنسانية، رحمانية، تنشأ لديه مخيّلة علميّة، يتساءل تساؤلاً علميّاً لا مخيّلة خرافات وقصص وهمية إجرامية تملؤها كتبنا، ونحفظها، ونتداولها من قتلٍ وصلبٍ وتشريدٍ، ثمّ ننشأ عليها ونتعلّمها في المدارس، بل مخيّلة إيمانيَّة وتنشئة سليمة، فلو تمّت تنشئة الأطفال على محبّة مخلوقات اللّٰه لاختلف الأمر كثيراً. وعلى التفكير الحرّ، والتعايش بين أفراد المجتمع، وقبول الآخر، والإيمان باختياره وحريته، وعلى عدم قتل دهشة الطفل الذي يتعلّم بالتجربة والاستكشاف، وعدم اعتراضه على ذلك، فالطفل الذي ينشأ على الأخلاق ويتعلم التفكير الحر سيكون أكثر صلاحاً في مجتمعه، وأكثر تطوّراً من الجيل الذي سبقه، الجيل الذي لا أمل فيه.

***

فالشعوب هي نفس الشعوب إذا تطوّر وعيها، وزادت حريتها، ونقصت حروبها، وتعاون أهلها، وآمنت بحقوق غيرها، وتطوّرت في إدارة صراعها، وعادت إلى ضميرها وأخلاقها.

ولو ذهبت إلى أفريقيا، أو كنت في وسط آسيا، أو أوروبا، أو أمريكا، ستجد أنّ الشعوب هي نفسها، تهتم بالمادة وتعمل لتحسين مستواها المادي، تهتم بالرياضة والفن، وتشاهد الأفلام، وتستمع إلى الأغاني،

وتنتظر البرامج الجديدة، ولديها الخرافات المقبولة التي لا تؤثر على سلوكها الجمعي، وتؤمن بها سواء أكان ذلك في الهند أم في أمريكا أم في دول العرب وغيرها.. والفرق يكون بالحاكم ومن هم حوله من سياسيين، وبنظام الحكم ومدى اهتمامه بالتعليم، وبفتح الجامعات، والإنفاق على البحوث العلمية كما لو كانت معسكرات ينفق عليها بسخاء، والتجديد والتحديث في نظام التعليم، وإضافة مواد في التفكير الناقد العقلاني -وما أحوجنا إلى العقل والعودة إليه!- وإضافة مواد في الأخلاق العامّة المتعارف عليها، وفي المنطق العلمي، والاهتمام بالجانب الفكريّ والعلميّ، وعدم الإسهاب كثيراً في علومٍ لا قائدةَ منها أخّرتنا سنواتٍ دون جدوى منها، علوم تهتمّ بالحرف ومخرجه ومدخله أكثر من الفكر والعقل وبناء الإنسان، كما هي مناهجنا.

- العلم والاستكشاف

العلم يُكتُشف، ليس بالقراءة وحدها نحصل عليه، وإنما نقرأ؛ لأننا لم نحظ بتجارب رهيبة قابلة للاستكشاف، كالسفر إلى أوروبا مثلاً، والتنقل بين البلدان.

فتلك أبسط الطرق لاكتساب العلم، أي علوم الجغرافيا والاجتماع.

ويحتاج للبحث، وللاستكشاف، بعمق النظرة، دون النظر لظاهر الأمور.

يحتاج إلى الأمانة العلمية بنقل الحقائق دون تعصب مسبق.

ومن ثم نقل الحقائق التي جمعتها، من خلال الملاحظة، والاستكشاف، والقدرة على الاستنتاج، دون قناعات مسبقة أو عواطف لدينك وهويتك وانتمائك .
ليس الجميع قادراً على الاستكشاف والكشف عن الحقائق الاجتماعية والغوص في أعماق النفس البشرية للبلدان التي يزورها، وطرح التساؤلات ومن ثم الإجابة عليها.

فقد يحظى المرء بتجارب مختلفة والتنقل في بلدان شتى، مع ذلك لا يستكشف منها شيئاً سوى الظاهر، من مبانٍ وطرقات، وناطحات، سحاب وحدائق، ويخيل إليه أن تلك البلدان تعيشُ في النعيم.

لا يرى إلا العمُران والحضارة، وفي أي مرحلة تمّر من الانحدار والسقوط.

ومن ثم يريد منا أن نجرب الطريقة التركية أو الماليزية أو أي بلاد ذهب إليها.

وهو لا يفهم أن البيئة تختلف، وأن العوامل مختلفة، وأن الرياح والتضاريس تؤثر في أخلاق الشعوب.

أو آخر يذهب إلى الحانات وأماكن الخمور، ويعتقد أن الغرب كله كذلك، وأن العلوم وصعود الفضاء جاءت من تلقاء نفسها، وهم سكارى، يعانون

من انحلال!.

إن الاستكشاف يحتاج لسنوات من التأمل، والدراسات، ومن الأبحاث، والمقارنة والمقاربة.

ومن الملاحظة الذكية التي تنبع من منهجية وعمق معرفي واستبصار علمي.

ومن ثم ربط الحقائق العلمية بعضها ببعض، وإنتاج ما يناسب بيئتك ومجتمعك منها.

***

إن الباحث المستكشف يحتاج إلى أن يكتشف بواطن الأشياء.

أن يكون عالماً وفناناً في ذات الوقت.

حتى يحصل على العلم من خلال التجربة والملاحظة والاستكشاف.

فالعلم والفن يهتمان بالاستكشاف.

والعلم يتقدم عن طريق التفكير والمثابرة الشاقة والصبر والتصبر.

بينما الفن يصل إلى هدفه تارة واحدة عبر التأمل والبصيرة.

- العلم والميتافيزيقيا

العلم ينكر التخاطر عن بُعد بين المحبين عبر الأثير الفيزيائي.

وينكر «تؤام الأرواح» وتخاطرها دون الحاجة للكلام.

العلم ينكر ظاهرة «الإسقاط النجمي» ولي تجربة معه، لكنه ليس خروج الروح عن الجسد والسفر عبر البلدان ولا تحكم كامل بالحلم.

ويحدث في حالة العقل الباطن يكون بين النوم واليقظة ومنها أشعة كهربائية تحدث للجسد وخروج للروح وتحكم نسبي بالحلم.

العلم ينكر ظاهرة «الديجافو» وتكرر الأحداث..

تشعر بأن الموقف نفسه يتكرر وقد حدث من قبل، ومن ثم تتذكر أن الموقف ذاته قد تكرر..

نفس الكلام قد تحدث به من قبل، ونفس المشهد يتكرر.

العلم ينكر وجود الروح من أساسه.

بينما هي طاقة، وينكر وحدة الوجود، وهي حقائق روحية تحدث عنها الكثيرون.

لا أصدق العلم المادي بشكل مطلق؛ لأن العلم لا يؤمن سوى بالحقائق المبرهن عليها، ولا يؤمن بالتجربة الروحية الخاصة بالفرد.

وأن الإنسان مادة دون روح، ولي تجارب روحية شتى.

ويمكننا تحويل التجارب الروحية إلى علم حقيقي موضوعي.

قابل للحجة والبرهان، والاستفادة من عالم الروح ونقلها إلى عالم المادة في حالة إثباتها علمياً.

ومعظم الاكتشافات بدأت من أحلام يقظة ومن تأملات ميتافزيقية.

أو الاستفادة منها في الروايات والفانتازيا وأفلام الخيال العلمي وتحويلها إلى فنون.

وهذا ما يحدث غالباً..

فالأحلام والتأمل هي نوع من أنواع الفنون.

***

وإليكم مثال بسيط، عن الفارق بين الميتافيزيقيا والعلم الموضوعي، ولنضرب مثالاً في علم الاجتماع.

***

أن الميتافيزيقيا تقول: بتناسخ الأرواح، وتعدد الحيوات، وأن الإنسان يتطور عبر حيوات متعددة..

أما علم الاجتماع، فيقول ابن خلدون، عن الرياح، وأسباب التفاوت بين الناس: «إن ميل أهل السودان والمناطق الحارة للطرب والرقص والكسل هو بسبب الرياح، وإن الرياح تؤثر في أخلاقهم».

- هل لدينا إرادة حرة؟

إن كانت المادة هي التي تصنع الوعي، فالإنسان مجبورٌ ولا إرادة له في زيادةِ وعيه واختياره فالبيئة المادّية هي من تحدد وعينا، ومصيرنا، وأخلاقنا، وسلوكنا، ونحن مجبورون على قوانينها، ونحن لم نختَر بيئتنا، ولم يختَر الجبليّ أن يعيش في الجبل والوعر حتى يكون أكثر بطشاً وقوّةً وتسلُّحاً، ولم يختَر الساحليّ أن يعيش في الساحل حتى يكون أكثر مدنيَّةً وسلماً وبساطةً، ولو كُنّا في بيئةٍ أُخرى وولدنا في مدينةِ باريس مثلاً لكنّا أكثر رقيّاً وتقدماً وإنسانيّةً.. وهكذا لمحض الصدفة، الطبيعة اختارت ولا إرادة لنا..

أما إذا كانت الروح هي التي تصنع الوعي، فالإنسان حرٌّ ولديه إرادة حرّة ويستطيع أن يُحدث تغييراً في محيطه من خلال الروح.

ومن هُنا بدأ الصراع الأزليّ بين المادة والروح، وبين الإنسان نفسه، بين جانبه الروحيّ، وجانبه الماديّ.

ينكر الماديّ الروح ويعتبرها أساطير لا دليل عليها ولا يؤمن سوى باختيار الطبيعة وبالمادة، ويؤمن الروحانيّ بالروح ويفسر بها كلّ الكون ويسقطها على جميع العلوم..

ويقول العقلاني بينهم إنّ الإنسان مادة وروح معاً، جسد وروح، وكلاهما يؤثّر على الوعي الإنساني، توثّر البيئة فينا دون اختيار لنا، ونحن نؤثّر في البيئة من خلال أفكارنا وترددات الخير أو الشر التي نبعثها إلى السماء لتعود علينا بواقع أسوأ أو أجمل.

والإنسان يصنع محيطه ويصنع الكون بترددات النفوس، إن كانت جميلةً وطيّبةً يعود الجمال والرقي إلى المحيط ككل، وإن كانت قبيحةً وعصبيّةً يعود القبح على النفوس ككل.. ويزيد الخراب والدمار بصنع الإنسان ومشاركته في الكون مصداقاً للحديث النبوي:

«إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم، كيفما تكونوا يولى عليكم».

***

ثم إن فكرة أن يكون هذا الكون مجرد عبث، وخالياً من العناية الإلهية، وليس للإنسان إرادة حرة مستقلة، ومبدأ الكون قائم على الريب والخلل كما يخبرنا هيزنبرغ وعلماء الطبيعة الآخرون، هي فكرة صعبة لا يمكن للإنسان تقبلها والتعايش معها.. لما فيها من سوداوية معتمة مريبة.

لقد حاول أينشتاين بنظرية النسبية أن يبرهن على أن الكون قائم بقوانين محكمة دقيقة، وأن الله لا يلعب النرد معنا، لقد حاول رياضياً أن يثبت ذلك وفشل..

إن أينشتاين كإنسان يحس ويتألم يرفض ذلك، يرفض أن يكون الكون مجرد عبث وفوضى.

أما العلم والأبحاث فتؤكد أن العبث موجود والعشوائية موجودة كما هو تفسير ميكانيكا الكم.. وفق مبدأ أن الذرة التي تتكون منها المواد ليس لها شكل واحد، مما جعلهم يسيرون في مبدأ أن الكون يسير وفق عبث وفوضى دون عناية إلهية...

أما الفطرة الإنسانية السليمة فإنها ترفض أن يكون الكون عبثاً وتحاول أن تثبت عكس ذلك عن طريق الروح، وأن العبث إن وجد فهو موجود ضمن العناية والمشيئة الإلهية لا انفصال عنها.

***

وبالعودة والنظر إلى الواقع، بالنسبة للبيئة والعادات والتقاليد، هي جبلة في المجتمعات العربية وموروث سائد يصعب تغييره.

والأخلاق التي ينشأ عليها الفرد تسيطر على حتمية اختياره، ويصعب تجاوزها لأنها حصيلة تاريخ وسنوات من اتّباعها، ورثناها من الآباء والأجداد.

وفي الحقيقة لا يشترط تغيير العادات من أجل النهضة، وليست عائقاً ضدّ المدنية.. ونمتلك عادات إيجابيّة حسنة من كرم، وحسن ضيافة، ومن عدم مغالاةٍ في المهور، ومن بساطةٍ، ومن فنون شعبيّة جميلة، إلا أنّ العادات الإيجابية بدأت تتلاشى، بينما العادات السلبية من حميّة، وتعصّب أعمى، والحكم باسم الدين وباسم الحق الإلهي، واستغلال

الجهل والتخلف، وعدم تعقّل وتعصّب، ما زالت موجودة؛ بل تزداد توسُّعاً بفضل الخطابات الطائفيّة التي تغذّيها يومياً الجماعات المعروفة وتستغل الحمية، والعصبية، الجاهلية.. وبفضل التعليم الفاشل الذي نتعلمه لسنوات وهو تعليم عقيم لم يغير الكثير، ولم يحدث تغييراً كبيراً منذ زمن الجمهورية؛ هذا جانب..

ومن جانب آخر نقول: إن العادات والفنون الشعبيّة تحتاج تغييراً، وخُذ مثلاً رقصة البرع، هو فنٌّ يمنيٌّ تراثيٌّ قديم، وليست كل الشعوب تمتلك تراثاً فنيّاً وموروثاً غنائيّاً، إلا أنّه يحتاج لتجديد، ودائماً ما أفكر أن البرع يحتاج إلى تجديد وتطوير وإحداث نغمات جديدة في البرع بحيث يصبح فنّاً يُقدّم للعالم كموروثٍ يناسب العصر.

أما أن يظلّ كما هو بنفس الحركات بحجّة المحافظة على التقاليد فذلك هو التخلُّف والتأخّر عينه، وليست محافظة على تقاليد بل هدم للتقاليد، فلا ضرر من إدخال تعديلات عليها بحيث يصبح برعاً حديثاً شبابيّاً جديداً.

مثل الفن الهندي الموروث، هل تتذكرون كيف كانت الرقصات الهندية القديمة مملّة؟ وكيف تم تجديدها وأصبحت جميلة.. ولا يضحك صاحب الفنّ القديم المتعصب للقديم بحجّة الابتذال والاستهزاء في الفنّ والعادات، ولا يغالي صاحب الفنّ الحديث وينسف الموروث الفنّي والشعبي من عند آخره الذي يميّزنا عن غيرنا ويبرز ثقافتنا وهويتنا.

- الروح وغريزة التطور

لولا تفاعل الأرواح مع بعضها البعض لكانت الحياة مجرد عبث ووهم.

إن الروح يتفاعل مع نظيره من الأرواح المتشابهة والمتنافرة، رغم تباعد المسافات والطرقات والأجساد.

والروح وحدها تنفي عبث الحياة، وتشعرنا بالجمال، والسعادة، وأن للحياة معنى، وأن الإنسان قادر على التطور ولديه إرادة حرة، مثلهُ مثل الكون، مادة يتطور بالتفاعلات وبالتجارب.

والإنسان كذلك يتفاعل مع روح أخرى وينتج منتوجاً جديداً عبر التجربة..

ليتطور في وعيه، من كلا الأرواح يحمل روحاً، ومن الروح المختلفة التي جاء بها يكون له نصيب، ومن البيئة التي يعيش فيها يكون له نصيب آخر.

إن الهدف من الحياة هو التطور والتجربة.

والتطور حقيقة لا جدال فيها وكلّ يسعى إليه طوعاً أو كرهاً.

والكون يتطور ويصحح أخطاءه يوماً بعد آخر، عبر التجارب الخاطئة التي مر بها.

والبشرية تتقدم يوماً بعد آخر، استجابة لدعوة الإنسان الأسمى القادر على الحياة، والقادر على التطور، والتأثير في الكون نحو الأفضل.

إن المعنى الحقيقي للحياة هو أن نتطور ونرتقي ونصبح أكثر إنسانية.

إن النفس تسعى إلى التطور بكل ما أمكنها من وسائل، ووجودها الحالي هو اصطفاء وتطور سابق.

ولو كان الإنسان مادة فقط لفني وانتهى وذبل كما تنتهي أي مادة أخرى في الكون.

أما الإنسان فروح ومادة.

إن الروح تسمو وتطور وتنتقل، عبر التجارب.

إن التجارب الروحية هي من تطورنا وتهذبنا وتزيد من وعينا وإدراكنا، وتنقلنا من بعُد إدراكي إلى بُعد آخر.

إن من يتأمل الكون وبداية الخلق، صيرورة الحياة، وفلسفة التاريخ، يلاحظ أن الدهر كالدهر، والأيام واحدة، الحياة لمن غلب، والبقاء للأقوى.

التاريخ يعيد نفسه، والسنين تتكرر، الكون وكأنه أزلي أبدي، لا بداية له ولا نهاية، دونما حادث أو مُحدث، سوى الروح وتفاعلاتها.

قصص الحب هي نفسها عبر الأزمان، وكذلك رغبات الأنفس، الفراق نفس الفراق، يتطور دون ألم.
الحرب والسلم، نفسهما في كل عصر، وما الإنسان سوى مجموعة رغبات.

أنا لست أنا، أنت لست أنت، ولسنا من أوجدنا رغباتنا، وإنما تفاعلات كيميائية أوجدتنا لنمارس رغباتنا، ما نحن إلا مجموعة رغبات، خُلقنا لإشباعها، وتلك الرغبات تنتقل من صورة إلى أخرى، ومن جسد إلى آخر، ومن روح إلى روح، عبر ملايين السنين، لتمارس رغباتها، تتطور لتصل لذروتها، في أبعاد زمانية متباعدة، وأجساد مختلفة، بنفس الرغبات.

إن الروح الأصل -الخالق- هي من أوجدت الكون بهذه الطريقة التجسيدية، مثل شخص يحلم في منامه ولا يملك جسداً، فلن يشعر بأي لذة أو حتى ألم في حلمه إلا إذا خلق تجسيداً داخل منامه، ورحلة التجسيد تحتاج إلى العديد من التجارب، لخلق واقعها البيئي ورغباتها، كي تمارس التجسيد، بمأمن من المخاوف.

فعندما تجسدت في الأرض كانت تخلق خلقاً وتجربة ومن خلاله تطور إلى خلق جديد، حتى وصل إلى آخر خلق وهو الإنسان، وعندما تظهر أخطاء من التجارب تعمل الأرض على تصحيحها وتعديلها نحو الافضل

والأرقى، ولكن الأمر يحتاج إلى سنوات طويلة لتحسينها حتى تصل لمنتهاها وكمالها، ومن ثم تنتهي الأرض بفعل البرودة، بسبب تمدد الكون الساعي للتطور، الناتج من الروح الخالقة، وأن كل الأخطاء التي ظهرت بالأرض يتم تصحيحها في كواكب أخرى، والرغبات والأهواء موجودة لا تنتهي أبدًا.
إن الرغبات نفس الرغبات، والحياة واحدة، رغبات متصلة ببعضها البعض، اللعب رغبة، الموسيقى، السفر، والحب، التعلم، والشغف، سواء في الحيوان... في الأكل والجنس، وتطورت في الإنسان إلى الهوايات والشغف والفنون.

والعالم المتطور اليوم أكثر رُقياً من أي عالم قد مضى، والرغبات هي نفس الرغبات.. رغبات التفوق والنبوغ، هي نفسها، حتى الصراع في أي جانب ليس هو كما كان في السابق، وإنما يتطور، والتطور يبحث عن تنظيم تلك الرغبات والغرائز، بحيث لا تخلق صراعاً يؤلم أحداً على حساب آخر، حتى تصل الروح الخالقة للكمال التجسيدي، وعندها سيتوقف الكون عن التمدد نهائيًا، وكل الرغبات وقتها ستتجسد بسعادة لجميع الأنفس والرغبات، ورحلة التطور والبحث عن الكمال صفة غريزية، في الروح الخالقة، والإنسان مجبور للبحث عن الكمال، وستظل دومًا تبحث عن الأفضل والأرقى والأسمى.

وهذا الإحساس يظهر لكل شخص يمتلك روحاً ونفحة إلهية، وستجده يبحث عن الجمال والتطور، والإصلاح، وهذه هي رغبة الروح الخالقة لنفسها.

- الأحلام والواقع

الأحلام المبالغ في أمرها تتحول مع الزمن إلى كوابيس إذا لم يستطع المرء تحقيقها والوصول إليها وسيجدها تهرب منه كلما اقترب منها.

الأحلام تعطينا دافعاً وأملاً، لتغيير الواقع وتغيير حياتنا نحو الأفضل، لكنها في المقابل تبعدنا عن الواقع والعمل فيه.

إن الاعتدال بين الواقع وبين الأحلام هو الحل.

فلا يكون المرء واقعياً جلفاً فظّ القلب والمشاعر، متخلياً عن آماله العليا وأحلامه التي تصاحبها.

ولا يكون المرء حالماً مفرطاً في أحلامه بعيداً عن واقعه تماماً.

إننا نحتاج إلى التوازن لنكون أكثر اتزاناً ومنطقية
أن نحلم ولكن لا يكون للأحلام سيادة مطلقة علينا.

إن حياتنا مليئة بالأوهام والأكاذيب..
إن حواسنا لا تستطيع أن تثبت إذا ما كانت حياتنا حقيقة، أم مجرد وهم وفراغ وعبث.

حتى العقل أيضاً لا يستطيع أن يميز بين الوهم والحقيقة.

إن حواسنا مخادعة، مشاعرنا كاذبة، ما يوحي إلينا ضميرنا ليس حقيقياً.

إن القلب متقلب لا أمان له، والعقل محدود وعاجز.

إن التخاطر والطاقات المغناطيسية والجاذبية والروح التي تشعر بها، هي مجرد إحساس روحي لا تستطيع إثباته.

إن الحقيقة الوحيدة التي أؤمن بها هي أن لا حقيقة واحدة في الكون، وأن الإنسان لا يمتلك وعياً أحادياً، وأن هناك وعياً روحياً، وآخر اقتصادياً، وآخر سياسياً، ومادياً، ووعياً مالياً، ولا وجود لوعي أحادي، وهذا ما ينفي فكرة تعدد الحيوات والتناسخ.

وأن الحقيقة الاجتماعية تناقضها الحقيقة الغيبية.

والعلم يناقض نفسه.

وعلوم الأحياء تناقض علوم الفيزياء.

والطبيعة تتبدل وتغيير.

إن من علامات الإنسان الجاهل اعتقاده بأنه يمتلك الحق المطلق، وأنه وصي على الآخرين، وأن حرية الآخرين نابعة من حريته، وأن ما يستهويه هو من عند اللّه، وما لا يحبه هو نفسه ما لا يحبه اللّه، وأن ما يحس ويشعر به، هو وحي إلهي مقدس.

إن المجتمع متعدد ومتنوع ولا ينهض في ظل أحادية التفكير.

إننا إذا أردنا أن نحلل وضعنا القائم بناءً على الواقع، فالصورة تحتاج للنظر من أعلى إلى أسفل، للنظر لصورة الأحداث كاملة.

من الظالم ومن المظلوم، ومن الحق ومن الباطل.

إننا سنجد الجميع غارق في الأوهام والأحلام.

ويمتلك مقداراً من الحق، ومقداراً من الباطل بنسب متفاوتة.

إننا سنجد العدالة والحرية والكرامة والإنسانية هي مجرد أفكار وأوهام وأحلام يسعى إليها الإنسان وليست حقائق.

- العقل والجنون

إن العقل والاتزان والنضج تعيق الإبداع.
تعيق الفنون والعبقرية.. لكن العلم لا يفعل ذلك ويحتاج للعقل.

إن العقل يجعلك تعيش في أمان.. لكن الإبداع هو أن تعيش في خطر.

إن الإبداع يحتاج لشيءٍ من الجنون.

ولا يوجد عقل مبدع عبقري دون لمحة ومس من الجنون

إن الإنسان الذكي يتعلم من تجربة الغير.. أما المجنون فيتعلم من تجربته الخاصة.

ولكن لا يوجد في الحياة.. حكمة بلا تجربة خاصة للفرد نفسه..

إننا نتألم لأن كل ما حولنا كذب ونفاق.

نتألم لأننا نبحث عن معنى للحياة.
نضحي بسعادتنا من أجل لحظة صادقة في الحياة ولا نجدها.

إن الألم في الحياة لا مفر ولا مهرب منه.
الألم يطهر النفس ويزكيها ويهذبها من أخطائها.

إنها عقاب لمن يبحث عن الجمال في الحياة واللذة الخاطفة.

إن الأحلام أصدق وأجمل من الواقع.

تخلق النفس في أحلامها، حياة الكمال والمثُل العليا والسمو بالروح.

تخلق ما يعجز الجسد أن يخلقه.

إن الاحلام تحررنا من القيود وتخفف من الأعباء والأثقال والآلام المصاحبة لحياة الإنسان.

إننا لا نهرب إلى الأحلام.. إلا لراحة العقل من التفكير.

إن الأوهام والأحلام تأسر الإنسان في الغالب وتستحوذ على عقله تماماً.. حتى لا يعمل.

إن الإنسان في الغالب، لا يتحرك بعقله الواعي، وإن امتلك العقل، وإنما يتحرك بعقله اللاوعي الحالم المجنون.

إن غياب العقل، يعني الجنون، لذا فالحرب جنون، والحب جنون، والإيمان بالخرافات جنون..

إن كل من يكفر ويحتكر لنفسه الحقيقة هو كائن مجنون

إن كل من يصادر حرية الآخر هو كائن مجنون.

إن كل ما حولنا جنون.

إن الإنسان في الغالب كائن مجنون.

إن الفيلسوف شخص يدرك جنونه، لأنه أعقل المجانين.

أما المجانين لا يدركون أنهم مجانين.

إنهم يرون أنفسهم عقلاء، ويخيل إليهم ذلك، إلا أنهم ليسوا كذلك.

إن من يتزوج دون تلامس الأرواح دون حب.. هو كائن مجنون

إن من يفجر بنفسه نصرة للدين هو كائن مجنون..

إن من يتزوج وينجب العديد من الأولاد ولا يملك قوت يومه ولا يستطيع إعالتهم هو كائن مجنون..

إن الناس الذين تشاهدهم في الطرقات ويبدون عقلاء..

إنهم على الأرجح مجانين..

إن ما يقال بأن بين العبقرية والجنون شعرة، وأن العباقرة مجانين، ليس صحيحاً، بل هم أعقل الناس، وأعقل المجانين ممن حولهم.

لقد بنيت على أكتافهم الحضارات وجاؤوا بأعظم الأفكار والاكتشافات والاختراعات.

فكيف كانوا مجانين؟

إنما هم بشر، تنتابهم لحظات من الجنون.

***

إن مسألة الجنون والعقل من أصعب المسائل التي يعجز العلم عن تحديدها، ويصعب الفصل إذا ما كان الذي أمامك كائناً مجنوناً أم عاقلاً.

فقد وصف سقراط بالجنون.

ووصف المفكرون كذلك بالجنون.

والأنبياء والمصلحون وصفوا بالجنون.

فهل كانوا مجانين فعلاً، أم من وصفهم بذلك هم الأكثر جنوناً!

إن كل ما حولنا وما نشاهده من حروب ومن قتل وتفجير وفوضى وصراع.. يؤكد تماماً أن الإنسان ليس بكائن عاقل، ويتحرك دون وعي، وهو على الأرجح كائن مجنون، يقتل ويفجر ويخرب ويسفك الدماء، وأنه لا يختلف عن الحيوان في شيء.
يتصارع كما تتصارع الحيوانات، ويتعاون كما تتعاون الحيوانات..

وأن الغرائز هي نفسها، والاختلاف إن وجد فهو اختلاف في الدرجة لا في النوع.

والإنسان حيوان أرقى بعض الشيء.

حتى تقسيم الحدود والصراع على الأراضي والبلدان، هي غريزة حيوانية بامتياز، توجد عند القطط التي تضع حدوداً لأرضها وتوجد عند الكلاب والأسود، ومن يدخل حدود الآخر يُقتل ويمُنع، وكذلك توجد عند الإنسان الحيوان.

- فهرس الأفكار والمقولات العامة

- العقل ينتج العلم، والإحساس ينتج الفن، وعندما يجتمع العقل مع الإحساس ينتج الفكر.

- نظام التعليم الدراسي الحالي يشمل ثلاثة أنواع من الذكاء:

النوع الأول: هو الذكي في هذا المجال بالموهبة والشغف والرغبة، وليس بالاجتهاد والتكلّف.

النوع الثاني: متوسط الذكاء في التعليم الدراسي، ويحتاج إلى شخصٍ آخر يفهمه الأشياء، ولا يستطيع أن يكتشف حيثيات وجزئيات التعليم من تلقاء نفسه.

النوع الثالث: ما يسمى عادة بالغبي دراسياً، وهذا النوع من الصعب جداً أن يفهم مناهج الدراسة، وتجده يكرهها وينفر منها حتى وإن شرح له الآخرون.

- التعليم لا يصحّ أن يكون قالباً واحداً، ولا معياراً واحداً، فلكلٍّ منّا طرق مختلفة في استقبال المعلومات.

- التعليم النافع تنقصه الأفكار، لا التجهيزات والمعدات والتكنلوجيا المستخدمة ولا الآلات الحديثة، كل تلك أمورٌ ثانوية لا نحتاجها حالياً.

- التعليم الحالي لا يخدم سوى نوع واحد من أنواع الذكاء، ويقتل الكثيرين، ويعذبهم، ويحمّلهم ما لا طاقةَ لهم به، ولا يهتم بأنواع الذكاء المتعدد.

- التعليم الحالي الخاطئ سببٌ رئيسيٌّ لزيادة أعداد المنضمين من الأطفال الطلاب إلى جبهات الحروب والقتال وزيادة حالة الإحباط والتمرد في المجتمع.

- يحتاج الإنسان ليكون عبقريّاً أن يكون طفلاً حتى يموت، أن يُدهش بكل حدثٍ يبدو مألوفاً ومُكرّراً في نظر الآخرين، وأن يمتلك مخزوناً لغويّاً مناسباً ليعبّر عمّا يشاهد بقالبٍ لغويٍّ مناسبٍ.

- التعليم يغفل تماماً عن الفنّ والفنون بشكلٍ عام، ويهتمّ بجانبِ العلم فقط مع أنّ العلم والفنّ بينهما علاقة تكاملٍ لا تنافُر.

- الأحرى بنظامِ التعليم عدم قتل الفنون بمختلف أنواعها، وإحياء الجمال في النفوسِ بالموسيقى التي تهذّب الروح، والرياضة التي تحرك الذهن، وبزيادةِ حصص اللعب والنشاطات الترفيهية، وبتفعيل خشبة المسرح والتمثيل، والتشجيع على الفنون المختلفة، والتعلّم بالرسم والصور والملاحظة الحرّة، لا بالأرقام فقط.

- التعليمُ في معظم الدّول العربية هو تعليمٌ مُحَطِّمٌ للمواهب، والنوابغ، والأطفال، والأفراد بشكلٍ عام، بإغفاله أهميّةِ الملاحظةِ، وأهميّة الاستكشاف، وأهمية التجربة في التعليم.

- العلم لا يأتي إلا بالاستكشاف، والتساؤل الفلسفي، والبحث وعمل المقارنة والمقاربة، والتواضع المعرفي، والفضول العلميّ، والصبر والتصبُّر، وإجراء التجارب، ولا يأتي بالحشو والتلقين، ولا يأتي بالجمود والتكلّس العقلي ورفض التفكير.

- يقُسم التعليم إلى ثلاثة أنواع: تعليم أخلاقي، إضافة مواد في الأخلاق العامة المتعارف عليها، وتعليم مهني للحياة العامة، وتعليم إبداعي يهتم بالمواهب وينميها.

- العلم بشكلٍ عامٍّ يكتُشف ولا يُلقَّن، ولو رسم الطالب خريطة الجمهورية مثلاً وهو لا يعرف أين تقع تلك البلدان التي رسمها فما جدوى ذلك الحفظ؟

- التعليم لذّة، العلم استكشاف، العلم حبّ، ولا يمكن للإنسان أن يتعلم شيئاً لا يحبّه.

- مناهج التعليم الدراسية لا تهتمُّ سوى بنوعٍ واحدٍ من العقول وهو العقل الإدراكيّ، وهنا تكمن الكارثة! وعليها نصف الشخص بأنه ذكيّ أو غبيّ من خلال إدراكه لما يتمّ حشوه به من معلومات، ونغفل عن الملاحظة، والتجربة، والاستنتاج.

- مشكلة الكتب التي تعلمناها في المدارس أنّها كتب لا تثير فضولنا المعرفيّ، ولا تجعلنا نفكر ولا نتساءل، وتثير الخوف والقلق فقط.

- الثقافة في عناصرها الأربعة: فصل جمال، وفصل أخلاق، وفصل منطق، وفصل علم، وليست في الكمّ الهائل من المعلومات الجافّة التي نحصل عليها في المدارس.

- هدف المعلم الناجح هو إحياء الفطرة في الإنسان وتحبيبه بالعلم، وبالاستكشاف، وبالرحلات الترفيهيّة دون خوف، وبالتساؤل والمحاورة مع الطالب وإشراكه في العلم، وبتبادل المعارف.

- المعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يوصل فكرته للطالب الذكي والغبيّ على حدٍّ سواء، ومن ثم يتم تقييمهم بناءً على التفكير والإبداع، لا على الحشو والتلقين.

- الفلسفة هي أمّ العلوم، وبداية عصر أيّ نهضة يبدأ من عندها، ولا يمكن القفز من فوقها إلى عصر التكنولوجيا والتصنيع دون فكرٍ وفلسفةٍ وتنمية.

- يكفي أن يتعلّم الطالب رسم خريطةِ منزله، ومدرستِه، ومحيطه حتى يستطيع أن يُكوّن صورةً حقيقيّةً في مخيّلته عن ذلك الشيء الذي يرسمه ويتعلمه.

- بداية الإصلاح تبدأ بإلغاء نظام الدرجات في المراحل الأولى من الطفولة حتى ينقشع الخوف والرهبة من نفوس الأفراد، ويتعلم الإنسان بالفطرة عن حبٍّ واستكشافٍ وفضول، والتعلّم باللعب والرحلات، وإحياء العقل المفكر المستكشف.

- العلم ليس معياراً للنقاء، والأخلاق قبل كل شيء. والعلم يستخدم للشرّ في الغالب.

* * *

- الكاتب في سطور

**إيهاب عبد الوهاب العرشي**

- كاتب يمني شاب، من محافظة صنعاء، مواليد ١٩٩٥م.

- من مؤلفاته كتاب في الفكر والحياة، الصادر عن المكتبة العربية للنشر والتوزيع في القاهرة.

- يعدُ كتاب (ثم يجعلهم التعليم أغبياء) الكتاب الثاني للمؤلف.